







هذا كتاب معراج النبي صلى الله عليه
وسلم تأليف سيدنا ومولانا الشيخ
العلامة الحبر الفهامة فريد
دهره ووحيد عصره
خاتمة الحفاظ والمحد
ثين البارع الا
مجد الشيخ
نجم الدين
الغيطي
الشا
فعي
غفر الله لنا وله ولمشايخنا ومشايخه ولجميع المسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
آمين

وصية بعض الصالحين لبعض
من عمل لآخرته كفاه الله امر دنياه ومن اصلح ما بينه وبين الله
كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن اصلح سريرته اصلح
الله علانيته.

ملكه الفقير ...
... عفي عنهما

١٥

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون

الحمد لله الذي رفع قدر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرى قدرا واسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فاعظم بذلك فخرا وقدمه جبريل فصلى بالانبيا والمرسلين ليعلم انه الامام الاعظم وانه بذلك المقام احرى ثم رقي الى السموات العلى الى سدرة المنتهى وظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام وراى من ايات ربه الكبرى وتجلى له وخاطبه وثبت فؤاده واعطاه سؤله واعظم له بذلك اجرا فسبحانه من اله نزه نفسه بنفسه في مقام الانبا عن الاسرى واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تتوالى علينا امداداتها تترى واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الذي بعث رحمة للعالمين وكنزا لهم وذخرا صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه وتابعيهم خصوصا وارثيه الذين اشاد الله لهم في الخافقين ذكرا وبعد فقد قال الله تعالى في كتابه المبين وهو اصدق القائلين بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير وسنتكلم ان شا الله تعالى على بعض فوائد هذه الاية الكريمة وعلى فوائد بعض الايات من اول سورة النجم ثم نورد حديث قصة الاسرى والمعراج ونتكلم على بعض فوائد ذلك ان شا الله تعالى مستمدا من الله المعونة والهداية والكفاية والرعاية فنقول سبب نزولها كما قال الامام ابو حيان ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الاسرا كذبوه فانزلها الله تعالى ووجه اتصال هذه السورة بما قبلها ومناسبتها له انه تعالى لما امره صلى الله

عليه

عليه وسلم بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وان يضيق صدره
من مكرهم لنسبته الى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما
رموه به اعقب الله تعالى ذلك بشرفه وفضله واختصاصه
به وعلو منزلته عنده بذكر الاسرى في اول هذه السورة
وايضا لما امره بالصبر في اخر السورة المتقدمة بقوله واصبر
وما صبرك الا بالله والصبر هو التحمل للمكاره والتحمل من
جملة ما يودي الى التجمل ومنه ما ذكره في اول هذه السورة
وقد روى البخاري عن ابن مسعود انه قال في سورة بني اسرا
والكهف ومريم وطه والانبيا هن من العتاق الاول وهن
من تلادي والعتاق بكسر العين المهملة جمع عتيق والا
بضم الهمزة وفتح الواو المخففة والاولية باعتبار حفظها
او باعتبار نزولها لانها مكيات وقوله من تلادي بكسر
التاء الفوقية وتخفيف اللام وبعد الالف دال مهملة اي
مما حفظته قديما وهو ضد الطارف ومراده ان لهن فضلا
باعتبار ما تقدم وما تضمنه مفتتح كل منها من امر غايب
وقع في العالم خارق للعادة وهو الاسراء وقصة اصحاب
الكهف وقصة مريم وهذا وجه في ترتيبها وهو اشتراكها في قدم
النزول وكونها مكيات وكلها مشتملة على القصص وروى الامام احمد
عن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة
بني اسرايل والزمر والحكمة في افتتاح هذه السورة بالتسبيح كما
قاله في زاد المسير وجهان احدهما ان العرب تسبح عند الامر العجيب
فكان الله تعالى عجب خلقه مما اسدى الى رسوله صلى الله عليه وسلم
من الاسرى به الثاني ان يكون خرج مخرج الرد عليهم لانه صلى
الله عليه وسلم لما حدثهم عن الاسرى كذبوه فيكون المعنى تنزه
الله ان يتخذ رسولا كذابا فان قلت ما الحكمة في افتتاح سورة

ثلا

ول

الاسرى بالتسبيح والكهف بالتحميد اجيب بان التسبيح
حيث جاء قدم على التحميد ثم فسبح بحمد ربك سبحان الله والحمد
لله لان التسبيح هو التنزيه والحمد الثنا فالاول من باب التخلية
والثاني من باب التحلية والتخلية مقدمة على التحلية واجيب
ايضا بان سورة سبحان لما اشتملت على الاسرا وكذب المشركون
به صلى الله عليه وسلم وتكذيبه تكذيب لله تعالى اتي بسبحان
لتنزيه الله عز وجل عما لا يليق به وينسب اليه من الكذب
وسورة الكهف لما نزلت بعد سوال المشركين عن قصة اصحاب
الكهف وتأخر الوحي نزلت مبينة ان الله تعالى لم يقطع نعمته
عن نبيه ولا عن المؤمنين بل اتم عليهم النعمة بانزال الكتاب
فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة واما سبحان فهو اسم
بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وهو اسم واقع موقع المصدر
ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد يستعمل علما فينقطع عن الاضافة قد
ويمتنع من الصرف وانتصابه بفعل مضمر اي اسبح الله سبحان
ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ
لان في حذف العامل واقامته مقامه الدلالة على ان المقصود با
الذات هو المصدر والفعل تابع له فيفيد الاخبار بسرعة وجود
التنزيه واذا قلنا بانه علم للتسبيح فالعلم على نوعين علم شخصي
وعلم جنسي ثم انه تارة يكون للعين وتارة للمعنى فهذا من
العلم الجنسي الذي يكون للمعنى فان قلت لفظ سبحان واجب
الاضافة فكيف الجمع بين العلمية والاضافة اجيب بانه ينكر
ثم يضاف كما قال الشاعر

علا زيدنا يوم النقا راس زيدكم   بابيض ماضي الشفرتين يماني

والتسبيح مما استأثر الله تعالى به كما قال بعضهم فبدا
بالمصدر اي بالاسم الموضوع موضعه في بني اسرائيل لان المصدر

هو الأصل

هو الاصل ثم بالماضي في الحديد والحشو والصف لانه اسبق الزمانين ثم المضارع في الجمعة والتغابن ثم بالامر بالاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها ونوذكر يعظم الله به مختص به لا يصلح لغيره فلا يستعمل الا فيه واما قول الشاعر سبحان من علقمة الفاخر فعلى سبيل الشذوذ واي العجب من علقمة اذ يفخر والعرب تقول سبحان الله من كذا اذا تعجبت منه قال الراغب وقول الشاعر سبحان من علقمة الفاخر تقديره سبحان علقمة على التهكم فزاد فيه من رداً الى اصله وقيل اراد سبحان الله من اجل علقمة فحذف المضاف اليه اه فعلى الثاني لا شذوذ فيه لانه استعمل في غير الله لانه مضاف اليه وقد حذف المضاف اليه وهو مراد للعلم به وابقي المضاف على حاله مراعاة لاغلب احواله اعني التجرد عن التنوين وعلى ذلك لا شاهد فيه على العلمية لانه مضاف وفي الوجه الاول نظر لان من لا تزاد في الاثبات وعلقمة صحابي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايع وهو شيخ واستعمله عمر على حوران ومات بها وفي الاستيعاب علقمة بن علاثة الكلابي العامري من المؤلفة قلوبهم كان سيداً في قومه حكيماً عاقلاً ولم يكن فيه ذلك الكرم واما معناه **فقد روى** الحاكم ان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء **وروى** ابن ابي حاتم عن علي رضي الله عنه قال سبحان الله كلمة احبها الله لنفسه ورضيها واحب ان تقال له وقال الكرماني وغيره اعلم ان الله تعالى له صفات سلبية مثل لا شريك له ولا ضد ولا ند وكذا سائر التنزيهات وكذا صفات احديه وتسمى بصفات الجلال وله تعالى صفات وجودية كالعلم والقدرة وتسمى بصفات الاكرام فالتسبيح اشارة الى الاولى واصل

با استيعابا

ذلك الاقتباس من قوله تعالى ذو الجلال والاكرام وحاصل
المعنى تنزيه الحق تعالى نفسه المقدسة عن جميع شوائب النقص
وتبعيده من السوء في الذات والصفات والافعال والاسماء والاحكام
فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل من سبح في الارض
اذا ذهب فيها وابعد اي ما ابعد الذي له هذه القدرة عن جميع
النقائص او لتنزيهه تعالى عن العجز عن اسرائه بعبده ليلا من
المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وقد ورد في فضل التسبيح ما رواه
مسلم وغيره عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله ان احب
الكلام الى الله سبحان الله وبحمده وفي رواية الترمذي سبحان
ربي وبحمده وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده
سبحان الله وبحمده وهذا محمول على كلام الادميين والا
فالقران افضل من التسبيح والتهليل المطلق واما المأثور في وقت
او حال فالاشتغال به افضل وفي صحيح مسلم من حديث ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وان
كانت مثل زبد البحر قال الطيبي يوم مطلق لم يعلم في اي
وقت من اوقاته وقال غيره ظاهر الاطلاق يشعر بانه يحصل
هذا الاجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة سواء قالها متوالية
او متفرقة في مجالس او بعضها اول النهار وبعضها اخره وقوله
غفرت ذنوبه اي الصغائر من حقوق الله تعالى خاصة لان حقوق
الناس لا تغفر الا باسترضاء الخصوم وروى البزار عن عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة واخرج

الطبراني

واخرج الطبراني في الاوسط والخرايطي وابن مردويه عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اصبح
سبحان الله وبحمده الف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان
اخر يومه عتيق الله قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد بعد
ايراده ما رواه الطبراني في الاوسط وفيه من لم اعرفه اه ومن
فائدة عظيمة ينبغي ان يحافظ عليها وغنيمة جسيمة ينبغي يبادر
الى الاغتنام بها والمداومة عليها ويشبهها ما يتداوله السادة
الصوفية من قول لا اله الا الله سبعين الف مرة ويقال
ان الله يعتق بها رقبة من قالها واشترى بها نفسه من النار
ويحافظون على فعلها لانفسهم ولمن مات من اهاليهم واخوانهم
وقد ذكرها الامام اليافعي والعارف الكبير المحيوي ابن عربي
واوصى بالمحافظة عليها وذكروا انه قد ورد فيها خبر نبوي
وحكوا ان شابا صالحا كان من اهل الكشف ماتت امه فصاح
وبكى وخر مغشيا عليه ثم سئل عن سبب ذلك فذكر انه راى امه
في النار وكان وكان بعض المشايخ من السادة حاضرا وكانت
قد قال هذه السبعين الفا واراد ان يعدها لنفسه فقال
في نفسه عند ما سمع قول الشاب المذكور اللهم انك تعلم اني
هللت هذه السبعين الفا تهليلة واريد ان ادخرها لنفسي
واشهدك اني قد اشتريت بها ام هذا الشاب من النار فما
استتم هذا الوارد الا وتبسم الشاب وسر وقال الحمد لله
ارى امي قد خرجت من النار وامر بها الى الجنة فقال الشيخ
المذكور وحصل لي فائدتان صدق الخبر المذكور وصحته
وصدق كشف هذا الشاب اه لكن الحديث المذكور قال
بعض المشايخ لم ترد به السنة فيما اعلم وقد وقفت على صورة
سؤال للحافظ ابن حجر رحمه الله من هذا الحديث وهو من

قال لا اله الا الله سبعين الفا فقد اشترى نفسه من الله
هل هو حديث صحيح او حسن او ضعيف وصورة جوابه اما
الحديث يعني المذكور فليس بصحيح ولا حسن ولا ضعيف بل
هو باطل موضوع لا تحل روايته الا مقرونا ببيان حاله اه لكن
ينبغي للشخص ان يفعلها اقتداء بالسادة وامتثالا لقول من
اوصى بها وتبركا بافعالهم وقد ذكرها الشيخ الولي الزاهد العارف
سيدي محمد بن عراق نفعنا الله ببركاته في بعض سفينته
المؤلفة وقال كان شيخه يامره بها وذكر ان بعض اخوانه ذكر له
عن بعض العلماء انه كانت له سبحة عددها الف وكان يديرها
سبعين مرة من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس قال وهذه
كرامة له من الله تعالى فنسأل الله ان يمن علينا بذلك وان
يلحقنا بعباده الصالحين اه وعن شريح العابد قال بلغني
انه لو قسم ثواب تسبيحة على جميع هذا الخلق لاصاب كل واحد
منهم خيرا والفضائل كثيرة شهيرة وفيما ذكرناه كفاية لمن
له بصيرة وقوله تعالى اسرى بعبده قال اهل اللغة اسرى
وسرى لغتان زاد بعضهم انهما مختصان بسير الليل واسرى
لازم كسرى فيحتاج الى التعدية فالهمزة هنا ليست للتعدية
خلافا لابن عطية وانما المعدي الباء في بعبده ولا تقتضي
مصاحبة الفاعل للمفعول في الفعل عند الجمهور خلافا للمبرد
والسهيلي والعبد لغة المملوك من نوع من يعقل وقال في المحكم
العبد الانسان حرا كان او رقيقا لانه مملوك لباريه وقال
سيبويه انه في الاصل صفة ولكنه استعمل استعمال الاسما
واجمع المسلمون على ان المراد بالعبد هنا سيدنا محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال هنا بعبده دون نبيه او حبيبه
لئلا تضل امته كالنصارى او لانه وصفه بالعبودية المضافة الى الله

تعالى

تعالى اشرف المقامات قال الاستاذ ابو علي الدقاق رحمه الله ليس للمؤمن صفة اتم ولا اشرف من العبودية ولهذا اطلقها الله تعالى على انبيه في اشرف المواطن كقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فاوحى الى عبده ما اوحى وقال البرهان النسفي رحمه الله قيل لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العلية والمراتب الرفيعة في المعراج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرفك قال يا رب بان تنسبني الى نفسك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده وفي معنى ذلك قيل لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي واقوال العلماء في العبد والعبودية كثيرة وكل واحد يتكلم بلسانه فانه يدل على قدر مقامه وحاله وقال ابن عطاء العبد الذي لا ملك له وقال وكم يتحقق العبد بالعبودية اذا سلم القياد من نفسه الى ربه وتبرأ من حوله وقوته وعلم ان الكل له وبه وقال عبد الله بن محمد حرزت صفة العبودية ان كنت لا ترى لنفسك ملكا وتعلم انك لا تملك لها نفعا ولا ضرا وما احسن ما قيل في هذا القبيل
وكنت قديما اطلب الوصل منهم ، فلما اتاني العلم وارتفع الجهل
تيقنت ان العبد لا طلب له ، فان قربوا فضل وان ابعدوا عدل
وان اظهروا لم يظهروا غير وصفهم ، وان ستروا فالستر من اجلهم يحلو
قال الامام الرازي دل قوله بعبده على ان الاسرا كان بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان العبد اسم للجسد والروح قال تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وانه لما قام عبد الله يدعوه وقوله تعالى ليلا هو ظرف للاسرى واستشكل كثير من الناس كون ليلا ظرفا للاسراء لانه تقدم ان الاسرا حقيقة هو سير الليل فاذا اطلقت الاسراء فهم انه واقع ليلا فهو كالصبوح

في شرب الصباح لا يحتاج الى قوله شربت الصبوح صباحا
وجوابه ان الامر وان كان كذلك الا ان العرب تفعل مثل
ذلك في بعض الاوقات اذا ارادت تاكيد الامر والتاكيد نوع
من انواع كلامهم واسلوب منه والعرب تقول اخذ بيده
وقال بلسانه وقال بعضهم فائدة التاكيد هنا رفع توهم المجاز
لانه قد يطلق على سير النهار ايضا وقال الزمخشري اراد بقوله
ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه وقع السرى به في
بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان
التنكير فيه قد دل على معنى البعضية قال ويشهد لذلك
قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اى بعض الليل وقال غيره ثم
المعنى سبحان الذي اسرى بعبده في ليل واحد من كذا الى كذا
وهو موضع التعجب وانما عدل عن ليلة الى ليل لانهم اذا قالوا
اسرى ليلة كان ذلك في الغالب لاستيعاب الليلة بالسرى
فقيل ليلا اى في ليل وقال التاج السبكي في عروس الافراح
وعد الزمخشري منه يعني من التقليل سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا اى ليلا قليلا اى بعض ليل واورد عليه التقليل رد الجنس
الى فرد من افراده لا تنقيص فرد الى جزء من اجزائه وفيه
نظر لان التقليل لو عنى به فرد لكان هو تنكير الافراد الدال على
الوحدة وانما التقليل اعم من الافراد لان التقليل يصدق على
الثلاثة بالنسبة الى المائة واما قوله فالتقليل لا يرد الشيء
الى جنس حقيقته فصحيح لكن لا نسلم ان الليل حقيقته في جميع
الليلة بل كل جزء من اجزائها يسمى ليلا من اطلاق بعض الليل
على كله فقولنا ليلا ليس بظاهر وان كل بعض منه ليل فلا ينهض
الا ان يقال بعض الليل يسمى ليلا باعتبار نفسه وبعض ليل اعتبار
الثاني اهـ قال ابن المنير رحمه الله وانما كان الاسراء ليلا لانه

وقت

وقت الخلوة والاختصاص عرفا ولانه وقت الصلاة التي كانت
مفروضة عليه في قوله قم الليل ولتكون اهلا للمؤمن في الايمان
بالغيب وقتة للكافر وقال بعض اهل الاشارات لما محي الله
اية الليل وجعل اية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بان اسري فيه
بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن دحية اكرم نبينا صلى الله
عليه وسلم لليلا بامور منها انشقاق القمر وايمان الجن به
وراي اصحابه نيرانهم كما في صحيح مسلم وخروج الى الغار ليلا فا
الليل اصل ولهذا كان اول الشهر وسواوة بجمع ضوء البصر
ويجد كليل الناظر ويستلذ فيه بالسمر وكان صلى الله عليه وسلم
اكثر اسفاره ليلا وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بالدلجة فان
الارض تطوى بالليل والليل وقت الاجتهاد للعبادة وكان
صلى الله عليه وسلم يقوم فيه حتى تورمت قدماه وكان قيام
الليل في حقه واجبا فلما كانت عبادته ليلا اكرم بالاسراء فيه ليكون
اجر المصدق به اكثر ليدخل في ضمن من امن بالغيب دون من
عاينه نهارا وقدم الحق تبارك وتعالى الليل في كتابه على ذكر النهار
فقال عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا الى
غير ذلك من الايات وصح انه صلى الله عليه وسلم قال
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن
يسالني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له الحديث وهذه
الخصيصة لم تجعل للنهار بنبه بها صلى الله عليه وسلم لما في
ذلك الوقت من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الاجر
وتحصل الاجابة ولابطال كلام الفلاسفة ان الظلمة من شانها
الاهانة والظلم ولان الله تعالى اكرم اقواما في الليل بانواع الكرامات

والشر

كقوله في قصة ابراهيم صلي الله عليه وسلم فلما جن عليه الليل
الاية وفي لوط في قوله فاسر باهلك بقطع من الليل وفي موسي
وواعدنا موسي ثلاثين ليلة وناجاه ليلا وامره باخراج قومه
ليلا اه ومن هنا اختلف في التفضيل بين الليل والنهار
وصنف فيه بعضهم كتابا فرجح الليل بوجوه منها ما تقدم انفا
ومنها سبقه النهار اي تقدمه في الخلق وفيه ساعة الاجابه
كما تقدم وهي في كل الليالي بخلاف الايام فهي منها في يوم
الجمعة فقط ورجح النهار بوجوه منها قوله صلي الله عليه وسلم
خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة ويوم الجمعة لكن يرد
بان هذا بالنسبة للايام لا الليالي وبان ليلة القدر خير من
الف شهر وقد دخل في هذه الليلة اربعة الاف جمعة قلت
ومن اعظم الادلة القاطعة للنزاع الدالة علي تفضيل الليله وقوع
رويته الله تعالي فيه للنبي صلي الله عليه وسلم ليلة الاسراء
ونزول القران فيه كما يدل عليه قوله تعالي انا انزلناه في ليلة
القدر الاية والله اعلم قال ابو امامة ابن النقاش
رحمه الله ليلة الاسراء افضل من ليلة القدر في حق النبي
صلي الله عليه وسلم وليلة القدر افضل في حق الامة لانها لهم
خير من عمل اكثر ثمانين سنة ممن كان قبلهم واما ليلة
الاسراء فلم يات في ارجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف
ولذلك لم يعينها النبي صلي الله عليه وسلم واما قول الامام البلقيني
رحمه الله في قصيدته التي مدح فيها النبي صلي الله عليه وسلم
حيث قال

اولاك رقيته في ليلة فضلت ليالي القدر فيها الرب رضاك

ويؤخذ منه ان ليلة الاسراء افضل من ليلة القدر ولعل الحكمة
في ذلك كما قاله في الاصطفا اشتمالها علي رويته التي هي افضل

من كل

من كل شيء ولذلك لم يجعلها ثوابا عن عمل من الاعمال مطلقا بل من
بها على عباده المؤمنين يوم القيامة تفضلا منه تعالى اه وهذا
مما يؤيد ما قدمناه انفا في تفضيل الليل لكن ينبغي النظر في تحرير
محل الخلاف وقد حرره بعضهم كما وجد بخط الحافظ ابن حجر
نقلا عن الهدى فقال ان كان المراد ان ليلة الاسرى ونظايرها من
كل عام افضل من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعا فيها
افضل من ليلة القدر فهذا باطل لم يقله احد من المسلمين وهو
معلوم الفساد بالاضطرار وان اراد الليلة المعينة التي اسري فيها
بالنبي صلى الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها
من غير ان يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا صحيح ان
قام دليل على ان انعام الله على نبيه ليلة الاسرى كان اعظم من انعامه
عليه بانزال القران ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحي ولا يجوز
لاحد ان يتكلم فيه بغير علم ولا يعرف عن احد من العلما بيان انه
حض ليلة الاسراء بامر من الامور ولهذا لا يعرف اي ليلة كانت
وان كان الاسراء في نفسه من اعظم خصائصه فضايله كما انه
صلى الله عليه وسلم لم يفضل غار حرا الذي انزل فيه الوحي
ولا خص اليوم الذي ابتدئ فيه الوحي بشي اه وظاهر
هذا الكلام ان الخلاف بين الليلة المعينة التي اسري فيها بالنبي
صلى الله عليه وسلم وبين ليلة القدر التي انزل فيها القران كما
يدل عليه قوله ان قام دليل على ان انعام الله على نبيه ليلة الا
سرا كان اعظم من انعامه عليه بانزال القران ليلة القدر
واما الليلة المعينة التي اسري به صلى الله عليه وسلم فيها
وليلة القدر في كل عام فينبغي ان يكون فيها قول ابي امامة
بن النقاش المتقدم واما نظاير الليلة المعينة في كل عام
فلا شك في ان ليلة القدر من كل عام افضل منها لما لا يخفي

وقوله تعالى من المسجد الحرام من لابتداء الغاية والمسجد لغة مفعل
بالكسر اسم لمكان السجود وبالفتح اسم للمصدر واما شرعا فكل
موضع من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا
وطهورا ولما كان السجود اشرف افعال الصلاة لقرب العبد
من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقولوا مركع
ثم ان العرف خصص المسجد بالمكان المهيا للصلوات الخمس
حتى يخرج المصلي المجتمع فيه للاعياد ونحوها فلا يعطى حكمه وكذلك
الربط والمدارس فانها هيئت لغير ذلك والحرام اي المحرم
وهو ضد الحلال وذلك لما منع المحرم فيه مما يجوز لغيره ولما
منع في الحرم مما يجوز في غيره من البلاد وقال الماوردي كل مو
ضع ذكر الله المسجد الحرام فالمراد به الحرم الا في قوله تعالى فول
وجهك شطر المسجد الحرام فان المراد به الكعبة وقال بعضهم المراد
بالمسجد الحرام في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام مكة لانه صلى الله عليه وسلم كان في بيت ام
هاني واول مسجد وضع على الارض المسجد الحرام وهو مسجد
مكة شرفها الله تعالى كما قال تعالى ان اول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا وفي الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع
على الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى
قلت وكم بينهما قال اربعون عاما الحديث وقد اشكل
هذا الحديث على بعضهم فقال بعضهم معلوم ان سليمان بن
داود صلى الله عليهما وسلم لما بنى بيت المقدس سال الله
ثلاثا الحديث الاتي ان شا الله تعالى وهو بعد ابراهيم صلى الله
عليه وسلم كما قال اهل التاريخ باكثر من الف عام وهذا القائل
جهل التاريخ بان سليمان عليه السلام انما كان له من المسجد الاقصى

بتجديده

تجديده لا تأسيسه والذي اسسه هو يعقوب بن اسحاق صلى
الله عليه وسلم بعد بناء ابراهيم الكعبة بهذا القدر وقال بعضهم
ان هذين المسجدين وضعا قديما ثم خربا ثم بنيا اهـ وزعم بعضهم
ان اول من بنى البيت ادم وان غيره من ولده ومنه بيت المقدس
بعده باربعين عاما حكاه ابن الجوزي وغيره وذكر ابن هشام
في التيجان ان ادم عليه السلام لما بنى البيت امره جبريل با
لسير الى بيت المقدس وان يبنيه فبناه ونسك فيه وقوله
تعالى الى المسجد الاقصى كلمة الى لانتهاء الغاية ومدلولها
هنا انه وصل الى حد ذلك المسجد ولا دلالة في اللفظ على
انه دخل لكن القرينة تدل على دخوله وهي العلم بانه انما يسري
به الى بيت المقدس ليدخل ويبعد ان يسري به الى بيت
المقدس ولا يدخله وصرحت السنة الصحيحة بما اقتضته
القرينة من دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد الاقصى
وهو الذي عمره نبي الله سليمان بامر الله عز وجل كما تقدم
وما زال مكرما محترما وهو احد المساجد الثلاثة التي لا تشد
الرحال شرعا الا اليها اي لا يقصد بالزيارة والتعظيم من
جهة امر الشارع الا هذه الثلاثة وقد روى النسائي وابن
ماجة وغيرهما ان سليمان لما بنى بيت المقدس سال الله
ثلاثا ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه اياه وساله
حكما يواطئ حكمه فاعطاه اياه وساله من اتى هذا البيت
يريد بيت المقدس لا يريد الا الصلاة فيه ان يخرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه فقال صلى الله عليه وسلم وانا ارجو ان
يكون اعطاه الثلاثة وروى ابو داوود وابن ماجة
عن ميمونة قالت قلت يا رسول الله افتنا في بيت المقدس
قال ارض المحشر والمنشر ايتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه

تألف صلاة في غيره قلت ارايت ان لم استطع اصلي فيه فان واحدا
لدن زمننا يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن اتاه وهو معدن الانبيا
من لدن ايام الخليل صلي الله عليه وسلم فلذا اجتمعوا له هناك كلهم
وامهم في محلتهم ودارهم ليدل ذلك علي انه الرئيس المقدم والامام
الاعظم صلي الله عليه وسلم والاقصي افعل من القصي والقاصي
هو البعيد وسمي الاقصي لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام
فبينها مسافة ثلاثين يوما عادة اولانه لم يكن وراه مسجد
فثبت له هذا النعت وان كان وراه بعد مساجد هي ابعد
منه لان العلمية اذا ثبتت بسبب لم يضر زوال السبب
ويحتمل ان يريد بالاقصي البعيد دون مفاضلة فافعل التفضيل
ليس علي بابه فكان اقصي اي ابعد مسجد عن اهل مكة في تعظيم
بالزيارة وقيل وصفه بالاقصي منهم اي من العرب اومن
الكعبة اومن اهل مكة او من النبي صلي الله عليه وسلم قال
الامام بن ابي جمرة والحكمة في اسرائه صلي الله عليه وسلم
اولا الي بيت المقدس لاظهار الحق علي من عاند لانه
لو عرج من مكة الي السما لم يجد لمعاندة من الاعداء سبيلا
الي البيان والايضاح فلما ذكر انه اسري به الي بيت
المقدس سألوه عن اشيا من بيت المقدس كانوا راوها
وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل
التحقيق بصدقه فيما ذكر من الاسراء به الي بيت المقدس
في ليلة واذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكر
اه قيل والحكمة في ذلك ليحصل له العروج مستويا من غير
تعويج لما روي عن كعب ان باب السماء الذي يقال
له مصعد الملايكة يقابل بيت المقدس قال وهو اقرب
الارض الي السماء بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه
نظر

نظر وقيل الحكمة في ذلك ان الله اراد ان يريه القبلة التي
صلى اليها مدة كما عرف الكعبة التي صلى اليها وقيل لانه مجمع
ارواح الانبياء فاراد الله تعالى ان يشرفهم بزيارته صلى الله
عليه وسلم وقيل لانه هجرة غالب الانبياء فحصل له الرحيل
في الجملة ليجمع بين اشتات الفضائل وقال ابن دحية
يحتمل ان يكون الحق سبحانه وتعالى والمراد انه لا يخلي تربة
فاضلة من مشهده ووطئ قدمه فتمم تقديس بيت المقدس
بصلاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيه فلما تمم تقديسه
اخبر صلى الله عليه وسلم انه لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مسا
جد المسجد الحرام لانه مولده ومسقط راسه وموضع نبوته
ومسجد المدينة لانه محل هجرته وارض تربته ومسجد الاقصى
لانه موضع معراجه صلى الله عليه وسلم وما احسن قول
بعض العارفين لرمزه لتلك الحقائق البالغة غاية التمكين
حيث يقول ومسجد الاقصى صاحب برد عا وطيبة ثرى ارض عليها
وقوله تعالى الذي باركنا حوله البركة الزيادة والنمو قال
الراغب البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء والمبارك ما فيه
ذلك الخير فان قيل كيف قال باركنا حوله ولم يقل باركنا
عليه او فيه مع ان البركة في المسجد تكون اكثر من خارج المسجد
وحوله خصوصا المسجد الاقصى قلنا اراد البركة الدنيوية
كالانهار الجارية والاشجار المثمرة وذلك حوله لا فيه وقيل
اراد البركة الدينية فانه مقر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ومتعبدهم ومهبط الوحي والملائكة وانما قال باركنا حوله
لتكون بركته اعم واشمل فانه اراد بما حوله ما احاط به
من ارض الشام وما قارب منها وذلك اوسع من مقدار
بيت المقدس ولانه اذا كان هو الاصل وقد بارك في لواحقه

تشت

وتوابعه من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق الاولى فلا نعكس
وقيل اراد البركتين الدنيوية والدينية وفيه ما مر من التوجيه
وقيل المراد باركنا حوله من بركة نشات منه فعمت جميع الارض
لان مياه الارض كلها اصل انفجارها من تحت صخرة بيت المقدس
اهـ فان قيل اذا كانت البركة حول المسجد الاقصى كما ذكر
فبماذا يتميز عليه المسجد الحرام اجيب بان البركة حول المسجد
الاقصى اما باعتبار الدنيا ورفاهيتها وخصبها والبركة حول
المسجد الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف الحسنات
فيه للطائفين والعاكفين والمستوطنين والوافدين
لان الاجر يكون على قدر التعب وهو واد غير ذي زرع
نزههم الله عن خصب الدنيا وسعتها لئلا يكون القصد
اليه ممن وجا بقصد الدنيا وهذه البركة الدينية هي افضل
من تلك البركة الدنيوية اهـ واما ان يكون المراد بالبركة
في المسجد الاقصى البركتين الدنيوية والدينية فالبركة
الدينية التي في المسجد الحرام تفضلها باعتبار ما تقدم وحوله
منصوب على الظرفية اي اوقعنا البركة حوله وحول الشيء جانبه
الذي يمكن ان يتحول اليه والضمير فيه راجع الى المسجد الاقصى
وقوله تعالى لنريه من اياتنا قرئ العامة بنون التعظيم جريا
على باركنا وفيه التفات من الغيبة وقوله اسرى بعبده
الى التكلم في باركنا ولنريه من اياتنا وطريقة الالتفات من
طرق البلاغة ففي الاية التفاتان فالالتفات الاول كما
تقدم والالتفات الثاني هو من التكلم الى الغيبة في
قوله انه هو السميع البصير بناء على ان الضمير فيه راجع لله
تعالى كما سياتي ووجه ذلك ان قوله سبحان الذي
اسرى بعبده يدل على مسراه من عالم الشهادة الى عالم الغيب

فهو

وهو بالغيبة انسب وقوله الذي باركنا حوله دال على
انزال البركات وتعظيم شان المنزل وهو بالحكاية على التفخيم
احرى وكذا قوله لنريه من اياتنا يدل على عظمة الاراءة والايات
المرئية وهو اولى بالتعظيم والحكاية على التفخيم ايضا وقوله
انه هو السميع البصير اشارة الى مقام اختصاصه بالمنح
والزلفى وغيبه شهوده في علمه في يسمع وفي يبصر
فالعود الى الغيبة اولى وقرئ ليريه بالياء التحتية
اي الله تعالى فعلى هذه القراءة يكون في الاية اربع التفاتات
فالثالث والرابع هو الالتفات من التكلم في باركنا الى الغيبة
في ليريه ثم التفت الى التكلم في اياتنا ووجهه انه في ليريه
اعاده الى مقام السر والغيبة في هذا العالم فالغيبوبة
بها اليق وقوله من اياتنا عود على التعظيم الى ما سبق
ومعنى الرؤية هنا ما اري تلك الليلة من عجائب السموات
والارض والايات الدالة على قدرة الله تعالى ومنها ما ذكر
في القصة من ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة
بيت المقدس وتمثيل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم
ومن هنا للتبعيض وانما اتى بها هنا تعظيما لايات الله
تعالى فان هذا الذي راه محمد صلى الله عليه وسلم وان كان
جليلا عظيما فهو بعض بالنسبة الى جملة ايات الله تعالى
وعجائب قدرته وجليل حكمته والرؤية هنا بصرية وقيل
قلبية واليه نحا ابن عطية فانه قال ويحتمل ان يريد ليرى
محمد للناس اية اي يكون النبي صلى الله عليه وسلم اية في انه
ايصنع ببشر هذا الصنع فتكون الرؤية على هذا قلبية
والاية العلامة الظاهرة على ما يلازمها فاية الشيء علامته
الظاهرة ثم غلب ذلك في صدق الرسل وعلى الالهية وكرامة

الاولياء وما اشبه ذلك فان قيل الاية تدل على انه تبارك وتعالى لم
ما اراه الا بعض الايات وقال في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض يدل على انه تعالى
اراه جميع الايات فيلزم ان يكون معراج ابراهيم افضل من معراج
محمد صلى الله عليه وسلم اجيب بان ملكوت السموات والارض
بعض ايات الله ايضا مخصوصا فالبعض المطلق افضل من البعض
المخصوص اذا لمطلق يصرف الى الكامل والجواب المشهور
عنه هو ان بعض ايات الله افضل من ملكوت السموات والارض
اه وقوله تعالى انه هو السميع البصير الصحيح ان الضمير
في انه لله تبارك وتعالى اي انه هو السميع لاقوال محمد
البصير بافعاله قال بعض المحققين ولا يبعد ان يرجع
الضمير الى العبد وهو النبي صلى الله عليه وسلم كما نقله ابو البقا
عن بعضهم قال انه هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا واما
توسط ضمير الفصل فللاشعار باختصاصه بهذه الكرامة
وحده ولعل السر في مجيء الضمير محتملا للامرين الاشارة الى
المطلوب وانه صلى الله عليه وسلم انما راى رب العزة به وسمع
كلامه به قال الماوردي في حكمة الاتيان بالسميع والبصير
هنا وجهان احدهما انه تعالى وصف نفسه بهما وان كانا
من صفاته اللازمة لذاته في الاحوال كلها لانه حفظ رسوله
عند الاسراء في ظلمة الليل فلم يضره ان لا يبصر فيها وسمع
دعاه فاجابه الى ما سئل الثاني ان قومه لما كذبوه حين
اخبرهم باسرائه فقال السميع يعني لما يقولونه من تصديق
او تكذيب البصير فيما يفعله من الاسرا والمعراج اه وهذا
بناء على ان الضمير لله تعالى وعليه فالسميع هو الذي
لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفي فيسمع السر والنجوى

بل ما هو

بل ما هو ادق واخفى يدرك دبيب النملة السوداء في الليلة
الظلماء على الصخرة الصماء يسمع بغير اصمخة واذان و سمعه منزه
ان يتطرق اليه الحدثان فالسمع في حقه عبارة عن صفة ينكشف
بها كمال صفات المسموعات والبصير هو الذي يشاهد ويرى
ولا يعزب عنه ما تحت الثرى ابصاره منزه عن ان يكون بحدقة
واجفان مقدس عن انطباع الصور والالوان في ذاته تعالى
كما ينطبع في حدقة الانسان فالبصر في حقه عبارة عن الصفة
التي ينكشف بها كمال نعوت المصنوعات وقد ختم الله
تعالى وتقدس الاية الدالة على اسرائه صلى الله عليه
وسلم وما يتعلق به بهاتين الصفتين العظيمتين
لما ذكرنا فان قلت الاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة
فهلا كما اخبرهم الله تعالى بعروجه الى السماء قلت استدرجهم
الى الايمان بذكر الاسراء اولا فلما ظهرت امارات صدقه
وصحت لهم براهين رسالته واستانسوا بتلك الايات
الخارقة اخبرهم بما هو اعظم منها وهو المعراج لحدثهم
النبي صلى الله عليه وسلم به وانزله الله تعالى في كتابه في سورة
النجم فقال عز قائلا بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى
الايات والكلام على بعض فوائد ذلك بحول الملك المالك
فقوله تعالى والنجم اذا هوى سبب نزولها كما قال المفسرون
قول المشركين ان محمدا يختلق القران ومناسبتها اخر
ما قبلها ظاهرة لانه تعالى قال ام يقولون تقوله اي
اختلق القران فنسبوه الى الشعر وقالوا هو كاهن
هو مجنون فاقسم الله تعالى في اول هذه السورة انه
ما ضل وان ما اتى به هو الوحي من عند الله فالنجم
مكية بالاجماع وهي اول سورة نزلت فيها سجدة واول

سورة اعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراتها في الحرم والمشركون
يسمعون وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن
والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته
وقال يكفي هذا كذا وقع في عبارة بعض المفسرين كابي حيان والسبكي
غير ابي لهب وهو غريب ففي رواية الشيخين وغيرهما
عن ابن مسعود وسجد الناس كلهم الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب
فسجد عليه فرايته قتل كافرا وهو امية بن خلف وفي رواية
ابن ابي شيبة الا رجلين من قريش ارادا بذلك الشهرة
وسمي احد المبهمين امية بن خلف المتقدم والثاني الوليد
ابن المغيرة كما عند ابن مسعود وقال التقي السبكي في تفسيره
وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكان تحته
ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج الى الشام
فقال لاتين محمدا فلا وذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر
بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجهه ورد عليه
ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال
ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى
ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف
عليهم راهب من الدير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو
لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني
اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم
واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يشتم وجوههم حتى ضرب
عتبة فقتله اهـ كذا وقع عتبة بالتكبير وهو مشكل لان
عتبة بن ابي لهب اسلم يوم الفتح هو واخوه معتب
وشهد حنينا والظاهر ان الذي وقع له ذلك عتيبة بالتصغير

ومات كافرا

وماتت كافرا وكان عتيبة تزوج ام كلثوم وعتبة تزوج رقية ثم طلقوهما ابيهم لما اسلمت ولم يدخلا بهما وقد تزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وماتتا عنده والحديث المذكور قد ذكره في الكشاف كما ذكره السبكي وقال الحافظ الجمال الزيلعي الحنفي في تخريج احاديث الكشاف ما ملخصه رواه يعني الحديث الذي في الكشاف ابو نعيم في كتاب دلائل النبوة في الباب السادس والعشرون من حديث محمد ابن اسحق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن ابيه فذكره بلفظ المصنف الا انه قال فضرب الاسد براسه ضربة واحدة فمات مكانه رواه البيهقي في دلائل النبوة والطبراني في معجمه في ترجمة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث زهير بن العلا عن سعيد ابن ابي عروبة عن قتادة فذكر القصة المذكورة با اطول من ذلك ثم قال وذكره الثعلبي عن عروة بلفظ المصنف من غير سند ثم قال وروى الحاكم في المستدرك في سورة تبت وذكر قصة فيها ان الذي دعى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقتله الاسد هو لهب ابن ابي لهب وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه البيهقي في دلائل النبوة كذلك وقال هكذا قال عباس بن الفضل لهب بن ابي لهب وعباس ليس بالقوي واهل المغازي يقولون عتبة بن ابي لهب ومنهم من يقول عتيبة اهـ ولما ساق الهيثمي في مجمع الزوائد القصة الطويلة التي اشرنا اليها انفا في اوائل باب المغازي والسير قال عتبة رواه الطبراني هكذا مرسلا وفيه زهير بن العلا وهو ضعيف والواو في والنجم للقسم والنجم مقسم به فان قيل كيف اقسم بالنجم وهو مخلوق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى

اجيب عنه باوجه احدها انه على حذف مضاف اي ورب النجم وكذا يقال فيما يشابهه الثاني ان العرب كانت تعظم هذه الاشيا وتقسم بها فنزل القران على ما يعرفونه الثالث ان الاقسام انما يكون بما يعظم المقسم او يجله وهو فوقه والله سبحانه وتعالي ليس فوقه شي فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على باري وصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل اذ يستحيل وجود مفعول بدون فاعل وروي ابن ابي حاتم عن الحسن قال ان الله تعالي يقسم بما شا من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله تعالي والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده فان قيل فما معني القسم منه تعالي فانه ان كان لاجل المؤمن فهو مصدق بمجرد الاخبار من غير قسم وان كان لاجل الكافر فلا يفيد اجيب بان القران نزل بلغة العرب ومن عاداتها القسم اذا ارادت تاكيد امر اجاب الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى بان الله ذكر القسم لكمال الحجة وتاكيدها وذلك ان الحكم يفصل باثنين اما بالشهادة واما بالقسم فذكر تعالي في كتابه النوعين حتي لا يبقي لهم حجة فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقال تعالي قل اي وربي انه لحق وعن بعض الاعراب انه لما سمع قوله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون فورب السما والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون صاح وقال من ذا الذي اغضب الجليل حتى الجاه الى اليمين وقد اختلف المفسرون في المراد بالنجم هنا على اقوال احدها ان الجملة من القران اذا نزلت وكلما نزل منه شي في وقت فهو نجم قال ابن عباس في تفسير هذه الاية اقسم بالقران اذا نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع ايات وثلاث ايات وسورة

وكان

وكان بين اوله واخره عشرون سنة وهو قول مقاتل والضحاك
ومجاهد والهوى على هذا القول النزول من اعلا الى اسفل
وعلى هذا فسمي القران نجما لتفرقه في النزول والعرب تسمي
التفريق تنجيما والمفرق نجوما قال الرازي ففي هذا القسم
استدلال بنجوم النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه قوله يس
والقران الحكيم انك لمن المرسلين ثانيها انه عنى بالنجم
الثريا والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة فلا يذكرونه
بالاطلاق الا لها قال الشاعر

طلع النجم عشيا ابتغى الراعي كسيا وقال ايضا
طلع النجم غديه ابتغى الراعي شكيه

يعني الثريا وهي تطلع العشا في الثلث الاخير من فصل
الخريف قبل الشتاء بشهر وذلك مبادي قوة البرودات
اخر كل فصل شبيه بالذي بعده فلهذا طلب الراعي الكسا وتطلع
بالغداة في الصيف وقت اوان اللبن فلهذا طلب الشكيه
تصغير شكوة وهي جلد الرضيع تتخذ للبن اصغر من الوطب
وفي الحديث ما طلع نجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا
ارتفع رواه الامام احمد واراد بالنجم الثريا وقد صار
النجم عند الاطلاق ولا يكون علما على الثريا الا بالالف
واللام فاذا اخرجت منه الالف واللام صار نكرة واطلقوا
على الثريا نجما وان كانت انجما قال سيده هي سبعة انجم
ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به ابصارهم
وقال غيره اختلفوا في عددها وذكر القاضي عياض في الشفا
انه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وذكر
السهيلي انه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثني عشر نجما
وقال القرطبي في كتاب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم

ه وصفاته انها لا تزيد على تسعة انجم فيما يذكرون وهذا القول
الثاني وهو ان المراد بالنجم الثريا قاله ابن عباس ومجاهد في رواية
عنهما واختاره ابن جرير والزمخشري وقال السمين انه النجم
ثالثها ان النجم اسم جنس والمراد النجوم كلها وهذا قاله الحسن
ومجاهد قال الوازني ومناسبة ذالك ان النجوم يهتدى
بها فاقسم بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة رابعها ان
المراد بالنجم الرجوم من النجوم يعني ما ترمي به الشياطين
ويسقط في اثارهم عند استراقهم السمع وهذا ما قاله ابن
عباس والحسن قال ابن كثير وهذا القول له اتجاه وقال
الواحدي وهذا القول ظاهر ونحن نشاهد هوي النجم
اذا رمي به قال الماوردي وسببه ان الله لما اراد بعثة محمد
صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده
فذعر اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير كان
يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال انظروا البروج الاثني
عشر فان انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض
منها شيء فيحدث في الدنيا امر عظيم فاستشعروا ذلك
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر
العظيم الذي استشعروه فانزل الله تعالى والنجم اذا هوى
اي ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوة التي حدثت
وقال ابن نعيم انه اظهر الاقوال ووجهه ان الله تعالى
اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها اية
وحفظ الوحي من استراق الشياطين على ان ما اتى به
رسوله حق لا سبيل للشياطين ولا طريق لهم اليه بل
قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا
له فلاء ارتباطا بين المقسم به والمقسم عليه في غاية

الظهور

الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه خامسها ان المراد
به النبي صلى الله عليه وسلم اذا هوى نزل ليلة المعراج وهذا
قاله جعفر الصادق كما نقله القاضي عياض عنه قال بعضهم
ويجيئ بهذا القول الملاءمة من وجوه فانه صلى الله عليه وسلم
نجم هداية خصوصا لمن هدي اليه من فرض الصلاة تلك الليلة
وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ومنها انه امان في السماء
والارض ومنها التشبيه بسرعة السير ومنها انه كان
ليلا وهو وقت ظهور النجم وهو لا يخفى على ذي بصر
واما ارباب البصائر فلا يمترون كابي بكر الصديق رضي
الله عنه اهـ وفي ذلك اقوال اخرى اضربنا عنها طلبا
للاختصار ولظهور هذه وقوة ملاءمتها وقوله اذا هوى
اي سقط من علو الى اسفل فعلى القول بانه القران فالمعنى
اذا نزل وعلى القول بانه الثريا او جميع النجوم فالمراد
بالهوى السقوط في مغاربها من الافق وعلى القول بانه
الرجوم فالمراد بالهوى الرمي بها وعلى القول بانه النبي
صلى الله عليه وسلم فالمراد بالهوى نزوله ليلة المعراج فان
قيل ما العامل في اذا وهل هي شرطية اولا واذا كانت
شرطية فاين جوابها اجيب بان الظاهر انها ظرفية
محضة لا شرطية والعامل فيها فعل القسم المحذوف
وتقديره اقسم بالنجم وقت هويه قاله ابو البقاء وغيره
وهو مشكل فان فعل القسم انشاء والانشاء حال واذا ظرف
لما يستقبل من الزمان فكيف يتلاقيان قال الطيبي
نقلا عن المقتبس الوجه ان اذا قد انسلخ عنها معنى الاستقبال
وصارت للوقت المجرد ونحوه اتيتك اذا احمر البسر
اي وقت احمراره فقد عري عن معنى الاستقبال لانه

وقت الغيبة عند بقوله اتيك واما ان يكون العامل في اذا نفس
النجم الذي اريد به القران قاله ابو البقاء وفيه نظر اذ اريد
انه اسم لهذا الكتاب المخصوص وقد يقال ان النجم بمعنى
المنجم كانه قيل والقران المنجم في هذا الوقت قال التقي السبكي
في تفسيره ويحتمل ان يؤخذ من فعل القسم معنى التعظيم ويجعل
هو العامل في اذا ويحتمل ان يقال ان اذا شرطية على بابها وجوابه
محذوف يدل عليه القسم لكن تقديره خبر لا انشاء وجملة الشرط
وجوابه المحذوف معترضة بين قوله والنجم وقوله ما ضل
صاحبكم قال الامام الرازي الفائدة في تقييد القسم بالنجم
بوقت هويه انه اذا كان في وسط السماء بعيدا عن الارض لا
يهتدي به الساري لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب
من الشمال فاذا زال تبين بزواله وتميز جانب عن جانب
كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفض جناحه للمؤمنين
وكان على خلق عظيم وخص الهوي دون الطلوع لعموم الاهتداء
به في الدين والدنيا اما الدنيوي فلما ذكر واما الديني فكما
قال الخليل صلى الله عليه وسلم لا احب الافلين وفيه لطيفة
وهي ان القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان من المشركين
من يعبده فنبه على عدم صلاحيته للالهية بهويه وافوله
وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى هذا جواب
القسم قال الزمخشري والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد
اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى
الضلال والغي وقال الرازي ما ملخصه وتحقيق الفرق يعني
بين الضلال والغي ان الضلال اعم استعمالا في المواضع تقول
ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوى فالمراد من الضلال ان لا
يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون

له طريق

له طريق الي القصد مستقيم فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق والمعني علي انه علي الطريق وان طريقه مستقيمة قال ابن القيم نفي الله تعالي عن رسوله الضلال المنافي للهدي والغي المنافي للرشاد ففي ضمن هذا النفي الشهادة له بانه علي الهدي والرشد فالهدي في علمه والرشد في عمله وهذان الاصلان هما غاية كمال العبد وبهما سعادته وصلاحه وقوله صاحبكم يعني به النبي صلي الله عليه وسلم والخطاب لقريش ولفظه صاحب تضاف تارة الي المصحوب الادني كما هنا وتارة الي الادني كقولنا صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم فتأمل كيف قال صاحبكم ولم يقل محمد تاكيد لاقامة الحجة عليهم به صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله وافعاله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالي علي ذلك بقوله ام لم يعرفوا رسولهم وقوله وما صاحبكم بمجنون وقوله تعالي وما ينطق عن الهوي نزلت لما قالت قريش ان محمدا يقول القران من عند نفسه وقوله وما ينطق عن الهوي دليل علي انه ما ضل وما غوي تقديره كيف يضل او يغوي وهو لا ينطق عن الهوي وانما يضل من يتبع هواه ويدل عليه قوله تعالي ولا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله وقال تعالي او لا ما ضل وما غوي بصيغة الماضي وقال هنا وما ينطق بصيغة المضارع وهو ترتيب حسن في غاية الحسن اي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون وما غوي حين اختلي بنفسه وما ينطق عن الهوي الان حين ارسل اليكم وجعل شاهدا عليكم فلم يكن اولا ضالا ولا غاويا وصار الان منقذا من الضلال ومرشدا وهاديا ولم يقل وما ينطق بالهوي لان نفي نطقه

خ تلقاء

من الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى كيف ينطق به فتضمن نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق فنطقه عن الحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال فعن على ذلك على بابها وهو اولى من جعلها بمعنى الباء اي ما ينطق بالهوى اي ما يتكلم بالباطل والهوى مقصور مصدر هويه بمعنى تعب وهو محبة من النفس الامارة وانما سمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه الاية وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله الاية وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات خشية الله في السر والعلانية والحكم بالعدل في الرضى والغضب والاقتصاد في الفقر والغنا والمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء برايه رواه البزار عن انس وقال صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السماء من اله هو يعبد من دون الله اعظم عند الله من هوى متبع رواه الطبراني عن ابي امامة قيل كان على خاتم بعض الحكما من غلب هواه على عقله افتضح وقال ابن دريد في مقصورته

وافة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا

وقوله تعالى ان هو الا وحي يوحى قال الامام الرازي هذه تكملة للبيان وذلك انه تعالى لما قال وما ينطق عن الهوى كان قائلا يقول فهو ينطق عن الدليل والاجتهاد فقال لا انما ينطق عن حضرته بالوحي وهذا اللفظ ابلغ من ان لو قيل هو وحي يوحى وفيه فائدة غير المبالغة وهو انهم كانوا يقولون هو قول كاهن هو قول شاعر فالمراد نفي قولهم وذلك حصل بصيغة النفي فقال ما هو كما يقولون وزاد بل هو وحي يوحى وكلمة ان استعملت مكان ما للنفي كما استعملت ما للشرط مكان ان

وهو ضمير

وهو ضمير يعود على المصدر المفهوم من الفعل وهو ما ينطق اي
ما منطقه الا بوحي يوحى وهذا احسن من قول من جعل الضمير
عائدا على القران كالكلبي ومقاتل وادعى فيه ابن عطية الاجماع
فان عوده الى القران عود على غير مذكور ولم يشمل جميع منطوق
النبي صلى الله عليه وسلم وعوده الى النطق المذكور يعم نطقه
بالقران والسنة وان كليهما وحي وعلى عوده الى النطق هو
بمعنى المنطوق به لان النطق لا يوحى وانما يوحى المنطوق به
واختار التقي السبكي ان يكون الذي يعود عليه الضمير ما عنه
النطق وفهم ذلك من قوله عن الهوى فكانه قال وما ينطق
عن الهوى ما ينطق الا عن الوحي وسياق الكلام يرشد الى هذا
المعنى وقوله يوحى صفة الوحي وفائدة المجي بهذا الوصف
انه ينفي المجاز اي هو وحي حقيقة لا بمجرد تسمية كقولك
هذا قول يقال وقيل تقديره يوحى اليه فيه مزيد فائدة
واستدل على ان جميع نطقه صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة
وحي بقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما
القران والسنة ولكن القران وحي يتلى والسنة وحي لا يتلى
وبما روى الدارمي عن يحيى بن ابي كثير قال كان جبريل
ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقران
ومثله يروى عن حسان بن عطية وبما روى ابو داود
وغيره من حديث المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله
عليه وسلم الا اني اوتيت القران ومثله معه وفي الصحيحين
ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة كيف
ترى في رجل احرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بالخلوق فنظر اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت فجاءه الوحي
ثم سري عنه فقال اين السائل انفا فجيء به فقال انزع عنك

الجبة واغسل اثر الطيب واصنع في عمرتك ما تصنع في حجتك

وروى الامام احمد وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

قال كنت اكتب كل شي اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

اريد احفظه فنهتني قريش فقالوا انك تكتب كل شي تسمعه

من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم

بشر يتكلم في الغضب والرضى فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اكتب فوالذي نفسي بيده

ما خرج مني الا حقا وروى الامام احمد وغيره عن عبد الله

ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ليدخلن الجنة بشفاعة رجل مثل الحيين او مثل احد

الحيين وهما ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله وما ربيعة

ومضر قال انما اقول ما اقول فقوله اقول الثاني بضم الهمزة

فتح القاف والواو المشددة اي ما يقوله الله تعالى من الوحي

وقد احتج بهذه الاية اي على جعل هو راجعا الى النطق لا الى

جملة راجعا الى القران لانه اذا كان كل ما نطق به وحيا

لا يكون للاجتهاد فيه مجال من لم ير الاجتهاد للنبي صلى

الله عليه وسلم والجواب عنه بانه اذا اوحي اليه بان

يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا قال البيضاوي

وفيه نظر لان ذلك بالوحي لا الوحي اي يكون ما يستند الى

الاجتهاد بسبب الوحي لا نفس الوحي قال صاحب الكشاف

هذا غير قادح لانه بمنزلة ان يقول الله تبارك وتعالى لنبيه

متى ما ظننت كذا فهو حكمي ورد بان الوحي هو الكلام الخفي

الذي يدرك بسرعة ولا يندرج الحكم الاجتهادي بما ذكره عنه

ولعل الاولى ان يندرج ما يثبت بالوحي فيه بعموم المجاز وقد

فيه بانه وصف الوحي بقوله يوحى لدفع احتمال المجاز وايضا فبانه

قوله

قوله علمه شديد القوى الا ان ما يسند الى الاجتهاد ليس من تعليمه فليتأمل وقد منع الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم طائفة وجوزه بعضهم في الحروب والآراء دون الاحكام وتوقف فيه كثيرون والصحيح جوازه ووقوعه وهو قول الشافعي وابي يوسف وقد يتمسك المانع من ذلك بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ويتمسك المجيز له بقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله وهو محتمل لان يراد به اراه بالوحي ومن ادلة الوقوع قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض عفى الله عنك لم اذنت لهم عوتب على استبقاء اسرى بدر بالفدا وعلى الاذن لمن ظهر نفاقهم في التخلف عن غزوة تبوك ولا يكون العتاب فيما صدر عن وحي فيكون عن اجتهاد قال التقي السبكي في تفسيره ومن اقوى ادلة القائلين بالوقوع يعني في غير الحروب قول النبي صلى الله عليه وسلم الا الاذخر عقب ما قيل له الا الاذخر ونحو ذلك وليس قاطعا لاحتمال ان يكون اوحى اليه في تلك اللحظة وقوله تعالى علمه شديد القوى اخبر تعالى عن وصف من علمه بما يعلم انه مغاير لاوصاف الشيطان معلم الضلالة والغواية وعلمه صفة للوحي او علمه اياه فالها عائدة الى صاحبكم وهو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر ويكون المفعول الثاني محذوف اي علم شديد القوى صاحبكم النبي صلى الله عليه وسلم وشديد القوى هو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها شديدة وفي ذلك مدح للمعلم وهو مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل لم يكن فيه فضيلة ظاهرة وفيه رد عليهم حيث قالوا اساطير الاولين لم يعلمه احد فقيل بل علمه شديد القوى وفيه الوثوق بقول جبريل عليه الصلاة والسلام من وصفه بذلك وهو شديد القوى وهي تشمل العملية والعلمية وذلك مما

يرمي المعلم ويثوقا وقوة وشد في القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل على قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال الحسن هو الله تعالى الشديد البين الشدة والقوى جمع قوة وقد روى ابن عساكر عن معاوية بن قرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما أحسن ما اثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فما كانت قوتك وما كانت امانتك قال اما قوتي فاني بعثت الى مداين قوم لوط وهي اربع مداين في كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل السماء اصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتي فلم اومر بشيء فعدوته الى غيره وقال محمد بن السايب من قوة جبريل انه اقتلع مداين قوم لوط من الماء الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها ومن قوته ايضا انه ابصر ابليس يكلم عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه بأقصى جبل بالهند ومن قوته صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم فاصبحوا جاثمين خامدين ومن قوته هبوطه من السماء على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وصعوده اليها في اسرع من طرفة عين وقوله تعالى ذو مرة اي ذو قوة كما رواه الفريابي عن مجاهد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي رواه احمد وغيره وقيل ذو جزالة في الراي وكمال في العقل وقال ابن عباس ذو منظر حسن رواه ابن جرير وقيل

غير

غير ذلك ولانتنا في بليت الاقوال لانه متصف بهما صلى الله عليه وسلم
تعالى الفراواصل المرة الفتل تقول فتل الحبل مرا اي يحكم شد
الفتل وفي امرارته بعضه الى بعض في الفتل فان قيل علي القول
بتفسير المرة بالقوي وقد تقدم كونه شديد القوي فكيف تكون
قواه شدة وله قوة واجيب بان افراد مرة بالذكر ربما
يكون لبيان ان قواه المشهورة شديدة وله قوة اخرى
خصه الله تعالى بها على انا نقول المراد ذو شدة وهي غير
القوة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته ايضا شدة
فان الانسان ربما يكون شديد القوة متير الجثة او يقال
انه تعالى اراد بقوله شديد القوي اي قوة العلم وبقوله
ذو مرة اي شدة في الجسم فقدم العلمية على الجسمية كما قال
تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم وقوله تعالى فاستوى
وهو بالافق الاعلى الفا سببية فان التشكل الذي لا شكل
فطر عليه تسبب عن شدة قدرته وقوته على الخوارق او
عاطفة على علمه اي علمه على غير صورته الاصلية ثم استوى
على صورته الاصلية وهذا بنا على ان الضمير لجبريل وهو
قول الجمهور يعني استقام جبريل على صورته الحقيقية
او ظهر في صورته التي خلقه الله تعالى عليها لانه كان
يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما
كان يأتي الانبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم ان
يريه نفسه في الصورة التي خلقه الله تعالى عليها فاراه
نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي
في الارض ففي الافق الاعلى وكان النبي صلى الله عليه
وسلم بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض الى
المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل اليه

يد

كثير خ

في صورة الادميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فلما افاق النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما ظننت ان الله تعالى خلق احدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما نشرت جناحين من اجنحتي ولي ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب فقال ان هذا العظيم وما انا في جنب ما خلق الله تعالى الا يسير ولقد خلق الله تعالى اسرافيل له ستمائة جناح كل جناح قدر جميع اجنحتي وانه ليتضائل بالعناد المعجمة والهمز احيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون قدر الوصع بفتح الواو والصاد والعين المهملة يعني العصفور الصغير ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى ولقد راه بالافق المبين وهذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسرا بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض اوائل البعثة التي بعد فترة الوحي كما قاله ابن كثير واما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ليلة الاسراء كما سياتي وقوله تعالى ولقد راه مرة اخرى عند سدرة المنتهى ولم ير جبريل احد من الانبياء على تلك الحالة الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تلك المرتين وقيل استوى بمعنى استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو مبتدا عائد لجبريل كما تقدم وبالافق خبره والجملة حال من فاعل استوى او انها جملة مستانفة اخبر الله تعالى بذلك والافق بضمتين او بضمة فسكون مثل عسر وعسر الناحية من الارض ومن السماء والجمع افاق والمراد به مطلع الشمس كما قاله مجاهد ووصف الافق بالاعلى قال الواحدي ليس المراد به الاعلى في السماء وانما المراد جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب فهو اعلى منه في صعيد الارض

الصورة

في الهوي

في الهوى وقيل الضميران في فاستوى ودنى وهو لله تعالى وهو قول الحسن على معنى العظمة والقدرة والسلطان

وقوله تعالى ثم دنى فتدلى الدنو هو القرب اما حسا واما معنى والتدلي هو الامتداد من علو الى اسفل هذا اصله ثم استعمل في القرب من العلو ويكون ايضا حسا او معنى فالقرب المستفاد من التدلي اخص من القرب المستفاد من الدنو وبهذا حسن عطفه عليه فتقديم الدنو تقديما للاعم على الاخص وهذا اولى من قول من قال ان هذا من التقديم والتاخير وان المعنى ثم تدلى من الافق فدنى لان الاصل عدم ذلك واولى من قول من قال ان معنى دنى فتدلى واحد لان التاسيس اولى من التاكيد وقيل ان دنى بمعنى قصد القرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتحرك من المكان الذي كان فيه فتدلى اي فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل فتدلى فتدلل من الدلال فتكون الفه مبدلة من لام قال الجوهري قوله تعالى ثم دنى فتدلى اي تدلل كقوله ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط والضمير المسند اليه دنى فتدلى عائد الى جبريل كما قاله الجمهور اي دنى جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم ثم استوى بالافق الاعلى من الارض فتدلى على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى من عظمة جبريل ما راى وهاله ذلك رده الله تعالى الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم وقال اخرون الضمير عائد الى الرب اي دنى الرب سبحانه وتعالى من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى وهذا على سبيل المجاز لان دنو الله من العبد ودنو العبد من الله تعالى بالرتبة والمكانة والمنزلة واجابة الدعوة واعطاء الامنية

لا بالمكان والمسافة والنقلة وهذا القول محكي عن ابن عباس رضي
ولم يقل احدان المراد بالدنو من الله حسا كما قد يتوهمه من
يقول بالجهة بل بما ذكرناه من تعظيم الجهة المنزلة وتشريف
الرتبة واشراق انوار المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب والقدرة
وبسط الانس والاكرام قال ابن عطية والصحيح عندي
ان جميع ما في هذه الايات هو مع جبريل بدليل قوله ولقد
راه نزلة اخرى فان ذلك يقتضي نزلة متقدمة وما روي
قط ان محمدا راى ربه قبل ليلة الاسراء اه قال الامام التقي
السبكي ليس في قوله نزلة اخرى صراحة بانها قبل ليلة الاسراء
فقد يكون راه فيها مرتين وقوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى القاب يطلق على ما بين المقبض والسية من
القوس والسية هي العرضة التي يوضع فيها الوتر ولكل
قوس قابان وقيل القاب جنب الوتر من القوس قاله
مجاهد ويطلق القاب ايضا في اللغة على القدر والقوس
هي التي يرمى بها وقيل المراد بها الذراع لانه يقاس بها الشيء
قال بعضهم وليس المراد في الاية القاب وانما المراد القدر
والقوس الذراع ويرجح هذا القول بما اخرجه ابن مردويه
باسناد صحيح عن ابن عباس قال القاب القدر والقوسين
الذراعين ويؤيده انه لما كان المراد به القوس التي يرمى
بها لم يمثل بذلك ليحتاج الى التثنية فكان يقال قاب رمح
او نحو ذلك وقد قيل ان المراد القوس ولكنه جاء في الاية على
القلب والمراد فكان قابي قوس فقلبه لان لكل قوس
قابين بناء على انه ما بين القبضة الى السية وعلى كل فني الاية
مضافات محذوفة يحتاط اليها لتقديرها فكان مقدار
مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين فان قلت

من هو

من هو المحدث عنه في الاية الذي شبه قربه بقاب قوسين
قلت هو جبريل كما نقله القاضي عياض عن الجمهور وقال
الحافظ عماد الدين ابن كثير انه هو الصحيح في التفسير كما
دل عليه كلام اكابر الصحابة وقد روى الشعبي عن مسروق
قال قلت لعائشة رضي الله عنها ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى قالت ذاك جبريل قال ابن القيم لان جبريل هو
الموصوف بما ذكر من اول السورة الى قوله ولقد راه نزلة
اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح لعائشة قالت عائشة رضي
الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية فقال ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها
الا مرتين رواه مسلم ولفظ القران لا يدل على غير ذلك
ثم ساق وجوها سبعة دالة على ذلك واما ما وقع في البخاري
من رواية شريك عن انس ودنى الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فقد تكلم الناس فيه
وقالوا ان شريكا خلط فيه وذكر فيه امورا منكرة لكن قال
ابن القيم ان الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير الذي
في الاية وجزم ابن كثير بان الدنو والتدلي في حديث شريك
غير الذي في الاية وقال الامام الرازي في تفسيره فكان قاب
قوسين اي فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم
مقدار قوسين او اقل وهذا على استعمال العرب وعادتهم
فان الاميرين منهم او الكبيرين اذا اصطلحا وتعاقدا
خرجا بقوسيهما ووتر كل واحد منهما قوسه بطرف قوس
صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكفه صاحبه
فيمدان باعيهما لذلك فسمي مبايعة وقوله او ادنى قال

ابن القيم او هنا ليس للشك بل لتحقيق قدر المسافة وانها لا تزيد على قوسين البتة كما قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة الف رجلا واحدا نظيره قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة اي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها وهذا المعنى احسن والطف وادق من قول من جعل او في هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الرائي ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتأمله وادنى افعل تفضيل والمفضل عليه محذوف اي او ادنى من قاب قوسين اي اقرب والمعنى فيما تقدرون انتم والله تعالى اعلم بالاشيا على ما هي عليه لا تردد عنده ولكنه خاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا اذا اكد الشيء فنقول هذا قدر رمحين او انقص فان قلت اذا كان القرب المذكور بين جبريل وبين النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه الجمهور فاي فائدة في ذلك وقد علمنا ان جبريل كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المراة وقد اسند ركبتيه الى ركبتيه وهو اقرب من قدر قوسين او قوس واحد وان اريد قرب المكانة منه فمذ اهل السنة والجماعة ان النبي صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل فكيف يذكر في سياق تشريفه ذكر مكانته منه قلت قالوا ان جبريل مع عظمة اجرامه وكثرتها حتى سد الافق بجناحه دنى من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الصورة حتى قرب منه بعد ما راه على الصورة الاولى وفي ذلك بيان قدرة الله تعالى ومعنى الاية ذلك والله اعلم بمراده واما اذا كان القرب فيما بين النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم وبين الله كما ذكر في حمل الاية على الكناية ففيه فائدة عظيمة
وبيان لشرف النبي صلى الله عليه وسلم واختصاصه وقد سئل
ابو العباس بن عطاء عن هذه الاية فقال كيف اصف لك مقاما
انقطع عند ميكائيل وجبريل واسرافيل ولم يكن الا محمد وربه
عز وجل وقوله تعالى فأوحى الى عبده ما اوحى الضمير في اوحى
الاول لجبريل على نسق ما تقدم وفي عبده لله تعالى والمراد به
محمد صلى الله عليه وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه لم يتقدم ذكر
الله لكنه معلوم كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة اي لم يجر
ذكر الارض لكنه معلوم والضمير في اوحى الثاني يجوز ان يكون
لجبريل كما هو الموافق للنسق اي اوحى جبريل لعبد الله محمد
ما اوحى جبريل ففيه تفخيم وتعظيم للموحى ويجوز ان يكون
الضمير لله اي اوحى جبريل لعبد الله محمد ما اوحى الله اليه
ويجوز ان يكون الضمير في اوحى الاول لله والمراد بعبده هو
محمد صلى الله عليه وسلم اي اوحى الله الى عبده محمد صلى
الله عليه وسلم ويجوز ان المراد بعبده جبريل عليه السلام
اي اوحى الله الى عبده جبريل والضمير في اوحى الثاني يجوز
ان يكون لله اي اوحى الله الى عبده محمد ما اوحى الله اليه
ففيه تفخيم وتعظيم ايضا للموحى ويجوز ان يكون لجبريل اي
اوحى الله لعبده محمد ما اوحى ما اوحى جبريل اليه فيكون ايحاء
الله تعالى اليه بواسطة جبريل وعلى ان المراد بعبده جبريل
والضمير في اوحى الثاني لله تعالى فالمعنى اوحى الله لعبده جبريل
ما اوحى الله اليه ففيه تفخيم ايضا وعلى ان المراد بعبده جبريل
والضمير في اوحى الثاني كذا فالمعنى فاوحى الله لعبده جبريل
ما اوحى جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم او ما اوحى جبريل
الى كل رسول لا نه امين الله على وحيه وما في ما اوحى يحتمل

ان تكون مصدرية اعني المراد بها المصدر فيكون بمعنى تفخيم الوحي الوحي اوحاه ويحتمل ان تكون موصولة اي الذي اوحاه الله من الاحكام وغيرها وقد اختلف في المراد بما اوحي على وجوه فقيل الصلاة وقيل ان احدا من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك ولا امة قبل امتك وقيل انها للعموم والمراد كلما جا به جبريل وسئل ابو الحسن الثوري عنه فقال اوحي اليه سرا بسر من سر في سر وفي ذلك يقول القائل

بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجه انس يقابله ... نور تحير في بحر من التيه

قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى اخبر تعالى على تصديق فؤاده لما راته عيناه بهذه الاية وقرأ الجمهور بتخفيف الذال من كذب وهو متعد وما راى مفعوله وما موصولة والعائد محذوف اي الذي راه وفاعل راى ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والفؤاد هو القلب والمراد فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما راه محمد صلى الله عليه وسلم بعينيه وان القلب صدق العين وليس كمن راى شيا على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره وقرأ هشام وابو جعفر بتشديد الذال من كذب اي ما كذب الفؤاد ما راه البصر ولم يقل ان ما راه البصر خيال لا حقيقة له بل صدقه على ما راه هذا بنا الراي بالبصر واما على القول بان الراي الفؤاد فالمعنى ما كذب الفؤاد ما راه الفؤاد اي لم يقل له انه جن اوشيطان بل تيقن ان ما راه بفؤاده صدق صحيح وال في الفؤاد للعهد قال الرازي لتعريف ما علم حاله لسبق ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في قوله ما ضل صاحبكم وفي قوله

فاوحي

فأوحى الى عبده وغير ذلك وقيل ال للجنس اي جنس الفؤاد
ويكون المعنى ما كذب الفؤاد ما راى محمد صلى الله عليه وسلم
اي القلوب تشهد بصحة ما راه محمد صلى الله عليه وسلم ولاختلفوا
في المرئي ما هو فقيل جبريل راه وله ستمائة جناح كما ثبت
عن ابن مسعود في الصحيح في تفسير هذه الاية وفي رواية عنه
راى جبريل عليه حلتان من رفرف اخضر قد ملا ما بين السماء
والارض كما رواها الفريابي والترمذي وصححها وقيل المرئي
الايات العجيبة وقيل المرئي هو الله تعالى وهو قول ابن
عباس وانس وابن امامة وغيرهم من الصحابة والتابعين
ثم منهم من يقول انه راه بعينه وهو المشهور عن ابن عباس
ومنهم من يقول راه بقلبه وهو مروي عن ابن عباس ايضا
وعن غيره وسياتي الكلام على روية الله تعالى وما قيل
فيها في الوجه التاسع والعشرين من فوائد القصة قوله تعالى
افتمارونه على ما يرى انكر تعالى عليهم مكابرتهم وجحدهم له
على ما يراه كما ينكر على الجاهل مكابرته العالم ومماراته له على
ما علمه فقال مبتديا بهمزة الاستفهام الانكاري افتمارونه
اي افتجادلونه من المراد هو المحاجة والمجادلة واشتقاقه
من مري الناقة مريا اي اذا مسحت ضرعها للدر وعبر
بالمفاعلة في هذه الكلمة اشارة الى ان اجتهادهم في تشكيكه
لان كلا من المجادلين يمري ما عند صاحبه اي يستخرجه
من مري الشيء استخرجه ومريت الفرس اذا استخرجت
ما عنده من الجري بسوط او غيره وكان من حقه ان يقال
في كقولك جادلته في كذا وانما ضمن معنى الغلبة فعدي
تعديتها بعلى وقرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب
افتمرونه بفتح التاء وسكون الميم من غير الف بعدها اي
افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده واختار هذه القراة

او المبيدة لان المشركين كان شانهم الجحد وهو اكثر من المماراة لي
واختار غيره القراة الاولى لان الجحود كان منهم في هذا وفي غيره والذي
اختصوا به الاسرا المجادلة لانهم قالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا
عن غيرنا العير في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به وايضا فقد يجحد
الشيء من لا يجادل فيه ووضع الجدال ان لا يكون الا من جاحد وان
اتفق من غير جاحد فهو متصور بصورة الجاحد فكان الجدال
اخص من الجحود وجعل الزمخشري وتبعه البيضاوي معنى
افتمرونه افتغلبونه في المرا من ماريته فمريته قال السبكي وهو
معنى جيد وورود مريت بمعنى جحدت في كلام العرب لا يدفع
ثبوت المعنيين لغة والتعدية بعلى على معنى الغلبة واضح واما على
معنى الجحد فلتضمنه معنى الغلبة فان المماري والجاحد يتصدان
بفعلهما غلبة الخصم وقال على ما يري بصيغة المضارع والرؤية
قد مضت فاما ان يكون وضع المضارع موضع الماضي كقوله تعالى
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على في احد تاويليه ومذهب سيبويه
جواز وضع المضارع موضع الماضي واما الاشارة الى انه ما نسي كما
انه لم يهم ولم يلتبس الامر عليه فالرؤية وان مضت في عقيدة
عنده لتحققه بها وتيقنه اياها فكانه الان ينظر والمماراة في الشي
الحاضر المعاين افحش واشد جهلا قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى
اخبر تعالى عن رؤيته لجبريل مرة بعد اخرى فالمرة الاولى كانت
دون السماء بالافق الاعلى والثانية هذه كانت فوق السماء عند سدرة
المنتهى قال الحافظ ابن كثير هذه هي المرة الثانية التي راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التي خلقه الله تعالى
عليها وكانت ليلة الاسراء وقد روى الامام احمد بسند حسن
كما قال الحافظ المذكور عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على سدرة المنتهى
له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من اجنحته

التهاويل

التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم واصل الحديث رواه مسلم
اهـ واما المرة الاولى فكانت في حراء اوائل البعثة كما تقدم والواو في
ولقد عاطفة وجوز بعضهم ان تكون للحال ورد بان اللام تنافي ذلك
لانها جواب القسم والقسم لا يكون حالا لان الحال خبر والقسم انشاء
والضمير المرفوع المستتر في راه للنبي صلى الله عليه وسلم واما البارز
المنصوب ففيه خلاف في جميع ما تقدم فقال ابن مسعود وعائشة
ومجاهد هو عائد على جبريل وقال ابن عباس وكعب الاحبار هو
عائد على الله تعالى وقوله نزلة اخرى اي مرة اخرى فعلة من
النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها على الظرف اشعارا
بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو وحيث كان الضمير
عائدا الى الله تعالى فالكلام في الدنو ما سبق من انه على سبيل
المجاز والمراد القرب المعنوي من الله تعالى مع تنزيهه تعالى
عن الجهات ولا يمتنع مع ذلك ان تتكرر رؤيته له في تلك الليلة
وقيل ان نزلة منصوب نصب المصدر الواقع موقع الحال والتقدير
ولقد راه نازلا نزلة اخرى والى هذا ذهب الحوفي وابن عطية
والاول اقتصر عليه الزمخشري وصدر به القاضي وحكى الثاني
بقيل وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين وهذا يعني الاول
ليس مذهب البصريين وانما هو مذهب الفراء ونقله عنه مكي
وقيل ان نزلة منصوبة على المصدر المؤكد وقدره ابو البقاء مرة
اخرى وقال الشهاب الحلبي المذكور وفيه نظر وقوله نزلة يرد به
وقوله اخرى يدل على سبق رؤية قبلها وقد تقدم ما يدل على
ذلك والمراد بالاتيان في هذه الاية وهي ولقد راه اخ بالفعل
المصدر باللام القسمية وكلمة قد المفيدة للتحقيق في الرؤية
عن المرة الاخرى وقوله تعالى عند سدرة المنتهى عند ظرف
مكان لراه وظرف الفعل قد يكون فيه الفاعل والمفعول او كلاهما
ولا اشكال ان فيه ههنا النبي صلى الله عليه وسلم عند من يقول

المرئي هو جبريل بل يصح ان يكون نخرق له او لهما معا والسدرة شجرة النبق راها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ورئي عندها جبريل في صورته الاصلية وهي في السماء السابعة كما في حديث انس رضي الله عنه ووقع في حديث ابن مسعود انها في السادسة وحديث انس هو قول الاكثرين وهو الذي يقتضيه ومنها كونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله تعالى او من اعلمه ويترجح حديث انس بانه مرفوع وحديث ابن مسعود بانه موقوف وقد جمع بينهما بان اصلها في السادسة وانما تمامها وفروعها في السابعة وليس في السادسة منها الا اصل ساقها قال مقاتل وهي عن يمين العرش قال الخليل قد اظلت السموات والجنة قال بعضهم وهي طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد وهي شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام وفي الكشاف وهي في رواية القصة سبعين عاما لا يقطعها ويستظل في الفنن منها مائة الف راكب لو وضعت منها ورقة في الارض لاضاءت لاهل الارض ورقها كاذان الفيلة ونبقها كقلال هجر يخرج من اصلها اربعة انهار نهران ظاهران النيل والفرات ونهران باطنان في الجنة فيها فراش من ذهب وانما قيل لها سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي عندها لم يجاوزها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله لا يعدوها وقيل لانه ينتهي اليها علم الخلائق وعلم كل عالم لا يعلم ما وراها الا الله تعالى وقيل لانه ينتهي اليها من مات على ملة النبي صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون حقا وقيل غير ذلك والمنتهى اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء او مصدر ميمي بمعنى الانتهاء لانها في منتهى الجنة واواخرها واضافة السدرة الى المنتهى اما

من اضافة

من اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع
لا يتعداه ملك ولا روح من الارواح او من اضافة المحل الى الحال
فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها او فيها
منتهى العلوم او المراد بالمنتهى هو الله تعالى وحينئذ فيكون التقدير المنتهى
اليه قال تعالى وان الى ربك المنتهى فاضافة السدرة الى المنتهى
من اضافة الملك الى مالكه فالامر منافة اليه كاضافة البيت اليه
للتشريف والتعظيم وسيأتي في الوجه الخامس والعشرون من
فوائد القصة الكلام على السدرة ايضا وما يتعلق بها قوله
تعالى عندها جنة المأوى اي عند سدرة المنتهى جنة المأوى
وهذه الجملة تحتمل الحال والاستئناف والحال اظهر كما قاله السبكي
وهو تعريف لموضع جنة المأوى وانها عند سدرة المنتهى
وهي عن يمين العرش كما تقدم وقال ابن عباس واكثر المفسرين
جنة المأوى التي يأوي اليها ارواح الشهداء وقيل اوى اليها
ادم عليه السلام الى ان خرج منها وقيل ان جبريل وميكائيل
عليهما السلام يأويان اليها وقيل ان ارواح المومنين كلهم في جنة
المأوى وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها وقالت عائشة
وزر بن جيش جنة من الجنات ومال اليه ابن عطية والجنات
كلها يأوي المتقون اليها اراد الله تعالى ان يعظم مكان سدرة المنتهى
بان جعل الجنة عندها وفي ذلك تعظيم لمكانها وتشريف له وقرأ
علي بن ابي طالب وابو الدرداء وجماعة من الصحابة والتابعين
جنه المأوى بالهاء في جنة فعلا ماضيا والهاء ضمير المفعول يعود
للنبي صلى الله عليه وسلم والمأوى فاعل اي ضمه وستره ايواء
الله وجميل صنعه وقد انكرت عائشة رضي الله عنها وجماعة
معها هذه القراءة وقالوا اجن الله من قراها واذا ثبتت قراءة
عن هؤلاء فلا سبيل الى ردها ولكن المستعمل انما هو اجنه رباعيا

فان استعمل ثلاثيا تعدى بعلى كقوله تعالى فلما جن عليه الليل
قال ابو البقا هو شاذ والمستعمل اجنه قوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال ابن القيم لما ذكر الله سبحانه وتعالى رؤية محمد لجبريل
صلى عليهما وسلم عند سدرة المنتهى استطرد منها وذكر ان عندها
جنة المأوى وانها يغشاها من امره وخلقه ما يغشى وهذا من
احسن الاستطراد وهو اسلوب لطيف جدا في القرآن واذا الوقت
زمان لرؤية نزلة اخرى وغشي السدرة ما يغشى اي يسترها
ومنه الغواشي او من معنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل وقت
اي ياتيني ما يغشى وفي التعبير بما تعظيم وتكثير لما يغشاه وقد
علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الدال على عظمة الله تعالى وجلاله
ما لا يكتنهه النعت ولا يحيط به الوصف وقد جاء بيانه ففي
حديث مسلم وغيره كما رواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت السدرة يغشاها فراش
من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا يسبح الله وقيل ملايكة
يغشونها كانهم طيور يرتقون اليها مشتوقين متبركين
بها زايرين كما يزور الناس الكعبة واخرج عبد الله بن
حميد عن سلمة بن وهرام قال اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال استاذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى ان ينظروا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وروي مرفوعا غشيها نور من الله
عز وجل حتى ما يستطيع احد ينظر اليها وقيل لما غشيها ما يغشاها
تحولت ياقوتا وزمردا وفي الحديث مرفوعا يغشاها الوان لا
ادري ما هي وقيل غير ذلك ولا يقال هذا تكلف لان الله
تعالى ابهم ما غشيها الا ان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا كلام فيه وما ثبت عن الصحابة يكون توقيفيا لان مثله لا يقال

بالراي

بالرأي وانما اختيرت السدرة لهذا الأمر دون سائر الأشجار
لانها تختص بثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية
فشابهت الايمان الذي جمع قولا وعملا ونية فظلها كالعمل وطعمها
كالنية وهذا رائحتها كالقول واما ما جاء من الاحاديث في النهي
عن قطع السدر من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو داود
وغيره من قطع السدرة صوب الله راسه في النار فمحمول
على سدر الحرم كما زاده الطبراني في روايته في قوله يعني من
سدر الحرم او على من قطعه من فلاة يستظل به ابن السبيل
والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيه على ما قاله ابو داود
وقد روى البيهقي ان ابا ثور سأل الشافعي رضي الله عنه
عن قطع السدر فقال لا بأس به وقد روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اغسلنها بماء وسدر وقد احتج المزني بما
احتج به الشافعي رضي الله تعالى عنه من اجازة النبي صلى
الله عليه وسلم ان يغسل الميت بالسدر ولو كان حراما لم
يجز الانتفاع به والورق من السدر كالغصن وقد سوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حرم قطعه من شجر الحرم
بين ورقه وغيره فلما لم يمنع من ورق السدر دل على
جواز قطع السدر قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وصف
الله تعالى وتقدس في هذه الآية ادب النبي صلى الله عليه
وسلم في ذلك المقام وثبوته ونفى عنه ما يعرض للرائي
الذي لا ادب له بين يدي العظماء اذا ورد على مقام يدهش
فيه من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره الى ما بين
يديه بقوله ما زاغ البصر اي مال والزيغ ميل البصر اي
بصر النبي صلى الله عليه وسلم وما طغى اي بصره اي ما تجاوز
واستدامامه الى حيث ينتهي قال ابن عباس ما زاغ البصر

يمينا ولا شمالا ولا جاوز ما أمر وكما ان الاية وصف ادب النبي
صلى الله عليه وسلم فهي متضمنة ايضا لوصف قوة نظره وتثبيته
وقلبه وتحقيق الامر ونفي وجوه الريب عنه فلم يلتفت يمينا
ولا شمالا ولا قصر عن كشف الامر وحقيقته ولا جاوز نحو ولا
مد بصره الى شيء غير المقصود مما راه من الايات واستقبله
من العجايب واثبت ما راه اثباتا متيقنا صحيحا وذلك غاية القوة
والادب او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن
منها وما جاوز ما امر برؤيته بل قام مقام العبد الذي اوجب
ادبه اطراقه واقباله على ما امر به دون التفاته الى غيره
ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجاش
وسكون القلب والطمانينة وهذا غاية الكمال وقد نزه الله
في هذه السورة علمه عن الضلال وقصده وعمله عن الغي ونطقه
عن الهوى وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزيغ والطغيان
والطغيان وهكذا يكون المدح هكذا هكذا والا فلا قوله
تعالى لقد راى من ايات اي والله لقد راى ابصر من ايات
ربه وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج او من ايات
ربه الكبرى الدالة على قدرته وعظمته والايات جمع اية
وهي العلامة ووصفها بالكبرى لتميزها عن غيرها وكبيان
نوعها وايات الله لا تحصى او لعظم الايات الكبرى فلا يحاط
بها والشيء اذا لم يحط به فلا يدرك بعينه فالكبرى
يجوز ان يكون مفعول راى ومن ايات ربه حال مقدمة
على ذيها وكلمة من للبيان لانه المناسب لمرام المقام والتقدير
لقد راى الايات الكبرى من ايات ربه الاية التي هي
كبراها قال الشهاب الحلبي وهذا هو الظاهر ويجوز
ان يكون الكبرى على اعراب كونها مفعولا نعتا للمفرد والتقدير

لقد

لقد راى من ايات ربه الاية التي هي كبراه وعظمها فاجعل الاسراء وما فيه من العجائب كالشيء الواحد ويجوز ان يكون الكبرى نعتا للايات ربه وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة لتوافق الفواصل ومن ايات ربه مفعول لراى ومن للتبعيض والتقدير لقد راى بعض ايات ربه الكبرى ويجوز على كون الكبرى نعتا للايات ان يكون المفعول لراى محذوفا والتقدير لقد راى شيئا عظيما من ايات ربه الكبرى ومشى على ذلك البيضاوي وايده بعضهم بان المقام يقتضي التعظيم وفي ذلك تفخيم للمرئي واختلفوا في تعيين ما راه من تلك الاية الكبرى فقيل جبريل في صورته قال الامام ان هذه الايات غير تلك لان جبريل وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان لله ملائكة اعظم منه والكبرى تانيث الاكبر فكانه تعالى قال لقد راى من ايات ربه ايات هي كبر الايات وقيل المرئي السدرة وقيل ما راه حين رقي به الى السموات وما فوقها من العجائب اي عجائب الملكوت وغير ذلك واما قول القرطبي وقيل هو ما راه تلك الليلة في سراه في عوده وبدايه وهذا حسن لانه يناسب قوله في اية الاسرى لنريه من اياتنا قال الامام ما ملخصه وهذه الاية تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الله ليلة المعراج وانما راى ايات الله تعالى وفيه خلاف ووجه الدلالة انه تعالى ختم قصة المعراج هنا برؤية الايات وقال في اواخر سورة الاسرى لنريه من اياتنا ولو كان راى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن فكانت الاية الرؤية وكان اكبر شيء هي الرؤية وقال ابن كثير وبهاتين الايتين استدل من ذهب من اهل

السنة ان الرؤية تلك الليلة لم تقع لانه قال لقد راى من ايات ربه الكبرى ولو كان راى ربه لاخبر بذلك ولقال ذلك للناس اهـ قلت الادلة في عدم ذكر الرؤية في الايتين على عدم وقوعها لاحتمال انها وقعت وكتمت خوفا من الانكار ومن توهمها رفعتها الدلائل الدالة على عدم وقوعها في هذه الدار ويحتمل دخولها فيما راه من الايات الكبرى بل هي اكبرها او دل عليها قوله سبحانه وتعالى ما كذب الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يثبت الرؤية ليلة الاسراء ويستشهد بذلك وتابعه جماعة من السلف والخلف رضي الله تعالى عنهم وقد خالفه جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين وحيث انتهى الكلام على ذكر بعض هذه الفوائد من هذه الايات الشريفة فلنسق القصة على نسق واحد وان كانت ماخوذة من احاديث متعددة ليكون ابهج للسامعين وانعش لقلوب المؤمنين ونتكلم على بعض فوائدها ان شاء الله تعالى فنقول بينما النبي صلى الله عليه وسلم عند البيت مضطجعا بين رجلين اذ اتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك اخر فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل وفي رواية فرج سقف بيتي فنزل جبريل فشق من ثغرة نحره الى اسفل بطنه ثم قال جبريل لميكائيل ائتني بطست من ماء زمزم كيما اطهر قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من اذى واختلف اليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم ثم اتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه في صدره وملاه حلما وعلما ويقينا واسلاما ثم اطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم اتى بالبراق

مسرجا

في الحجر

مسرجا ملجما وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه مضطرب الاذنين اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه له جناحان في فخذيه تحفز بهما رجليه فاستصعب عليه فوضع جبريل عليه السلام يده على معرفته ثم قال الا تستحي يا براق فوالله ما ركبك خلق هو اكرم على الله منه فاستحى حتى ارفض عرقا وقر حتى ركبها وكانت الانبياء تركبها قبله وقال سعيد بن المسيب وغيره وهي دابة ابراهيم الذي كان يركب عليها للبيت الحرام فانطلق به جبريل وهو عن يمينه وميكائيل عن يساره وعن ابن سعيد فكان الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل فساروا حتى بلغوا ارضا ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل هنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل اتدري اين صليت قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة فانطلق البراق يهوي به يضع حافره حيث ادرك طرفه فقال له جبريل انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له جبريل اتدري اين صليت قال لا قال صليت بمدين عند شجرة موسى ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم قال له انزل فصل ففعل ثم ركب فقال اتدري اين صليت قال لا قال صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى ثم بلغ ارضا بدت له قصور فقال له جبريل انزل فصل ففعل ثم ركب وانطلق البراق يهوي به فقال له جبريل اتدري اين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى وبينما هو يسير على البراق اذ راى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل الا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال جبريل قل اعوذ

بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض
ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل
والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فانكب لفيه فانطفت شعلته
ونار واتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصد
عاد كما كان فقال يا جبريل ما هذا قال هولاء المجاهدون في سبيل الله
تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما انفقوا من شيء فهو يخلفه
ووجد ريحا طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة فقال هذه رائحة
ماشطة بنت فرعون اذ سقط المشط فقالت بسم الله تعس
فرعون فقالت ابنة فرعون اولك رب غير ابي قالت نعم قالت
افاخبر بذلك ابي قالت نعم فاخبرته فدعاها فقال الك رب
غيري قالت نعم ربي وربك الله وكان للمراة ابنان وزوج فارسل
اليهم فراود المراة وزوجها ان يرجعا عن دينهما فابيا فقال
اني قاتلكما قالت احسانا منك الينا ان قتلتنا ان تجعلنا في بيت
واحد فتدفننا فيه جميعا قال ذلك لك بما لك علينا من الحق
فامر ببقرة من نحاس فاحميت ثم امر بها لتلقى هي واولادها
فالقوا واحدا واحدا حتى بلغوا اصغر رضيع فيهم فقال يا امه قعي
ولا تقاعسي فانك على الحق فالقيت هي وولدها قال وتكلم اربعة
وهم صغار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن
مريم واتى على قوم ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما
كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال يا جبريل من هولاء
قال هولاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم
اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون
كما تسرح الابل والغنم وياكلون الضريع والزقوم ورضف
جهنم وحجارتها فقال من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين لا يؤدون

صدقات اموالهم وما ظلمهم الله شيئا ثم اتى على قوم بين ايديهم
لحم نضيج في قدور ولحم اخر نيء خبيث فجعلوا يأكلون من النيء
الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما هذا يا جبريل فقال
هذا الرجل من امتك يكون عنده المراة الحلال الطيب فيأتي
امراة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمراة تقوم من عند
زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح
ثم اتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ولا شيء الا خرقته
قال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل اقوام من امتك يقعدون
على الطريق فيقطعونه وتلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
وراى رجلا يسبح في نهر من دم ويلقم الحجارة فقال من هذا
فقيل اكل الربا ثم اتى على رجل قد جمع حزمة حطب لا يستطيع
حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من
امتك يكون عنده امانات الناس لا يقدر على ادائها ويريد ان
يتحمل عليها واتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض
من حديد كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم فقال من هؤلاء
يا جبريل فقال هؤلاء خطباء الفتنة خطباء امتك يقولون
ما لا يفعلون ومر بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم
وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون
اموال الناس ويقعون في اعراضهم واتى على جحر صغير يخرج
منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا
يستطيع فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل يتكلم الكلمة
العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها وبينما هو
يسير فاذا هو اذ دعاه داع عن يساره يا
محمد انظرني اسالك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا داعي اليهود اما انك لو اجبته لتهودت امتك وبينما

هو يسير اذ دعاه داع عن يمينه يا محمد انظرني اسالك فلم يجبه
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داع النصارى اما انك لو اجبته لتنصرت
امتك وبينما هو يسير اذ هو بامراه حاسرة عن ذراعيها وعليها
من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم يلتفت اليها
فقال من هذا يا جبريل قال تلك الدنيا اما انك لو اجبتها لاختارت
امتك الدنيا على الاخرة وبينما هو يسير فاذا هو بشيخ يدعوه متنحيا
عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال جبريل سر يا محمد فقال من
هذا قال هذا عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه وسار فاذا هو
بعجوز على جانب الطريق فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم يلتفت
اليها فقال من هذه يا جبريل قال انه لم يبق من عمر الدنيا الا ما بقي
من عمر هذه العجوز وسار حتى اتى مدينة بيت المقدس ودخلها
من بابها اليماني ثم نزل عن البراق وربطه بباب المسجد بالحلقة
التي تربط بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام وفي رواية ان جبريل
اتى الصخرة فوضع اصبعه فيها فخرقها وشد بها البراق ودخل محمد
من باب فيه تمثيل الشمس والقمر ثم صلى هو وجبريل كل واحد
ركعتين فلم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير من
النبيين من بين قايم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن واقيمت
الصلاة فقاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فاخذ جبريل
بيده فقدمه فصلى بهم ركعتين وعن كعب فاذن جبريل
ونزلت الملايكة من السماء وحشر الله المرسلين فصلى النبي
صلى الله عليه وسلم بالملايكة والمرسلين فلما انصرف قال
جبريل يا محمد اتدري من صلى خلفك قال لا قال كل نبي بعثه
الله تعالى ثم اثنى كل نبي من الانبياء على ربه بثناء جميل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كلكم اثنى على ربه وانا مثن على ربي
ثم شرع يقول الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة

للناس

للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي القران فيه تبيان كل شي وجعل
امتي خير امة اخرجت للناس وجعل امتي وسطا وجعل امتي هم
الاولون والاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم صلي الله عليه
وسلم بهذا فضلكم محمد صلي الله عليه وسلم واخذ النبي صلي الله
عليه وسلم من العطش اشد ما اخذه فجاءه جبريل صلي الله عليه
وسلم باناء من خمر واناء من لبن فاختار اللبن فقال له جبريل
اخترت الفطرة ولو شربت الخمر لغوت امتك ولم يتبعك
منهم الا القليل وفي رواية ان الانية كانت ثلاثة والثالث
فيه ماء وان جبريل قال له لو شربت الما لغرقت امتك وفي
رواية ان احد الانية التي عرضت عليه كان فيه عسل بدل
الماء وانه راي عن يسار الصخرة الحور العين وسلم عليهن فرددن
عليه وسالهن فاجبنه بما تقر به العين ثم اتي بالمعراج
الذي تعرج عليه ارواح بني ادم فلم تر الخلائق احسن منه
له مرقات من فضة ومرقات من ذهب وهو من جنة
الفردوس منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره
ملائكة فصعد هو وجبريل حتي انتهي الي باب من ابواب
سماء الدنيا يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل
وهو صاحب سما الدنيا يسكن الهوي لم يصعد الي السماء قط
ولم يهبط الي الارض الا يوم مات النبي صلي الله عليه وسلم
وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك جنده مائة الف
فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه وفي رواية بعث اليه قال نعم
قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم
الخليفة ونعم المجي جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا فيها ادم كهيئته

يوم خلقه الله تعالى على صورته تعرض عليه ارواح الانبيا وذريته المؤمنون فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه ارواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين وعن يمينه اسودة وباب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله اسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر واذا نظر قبل شماله حزن وبكي فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال ابوك ادم وهذه الاسودة نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة واهل الشمال منهم اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكي وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة فاذا نظر من يدخل من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر من يدخل من ذريته حزن وبكي ثم مضى هنيهة فوجد اكل الربا واليتامى والزناة وغيرهم على حالة شنيعة بحسب ما تقدم واشنع ثم صعد الى السماء الثانية فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا واهلا حياه الله تعالى من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جا ففتح لهما فلما خلصا اذا هو بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا شبه احدهما بصاحبه بثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما واذا عيسى جعد مربوع الى الحمرة والبياض سبط الراس كانما خرج من ديماس اي حمام شبهه بعروة بن مسعود الثقفي فسلم عليهما فردا عليه السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير ثم صعد الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل

قيل

قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة
فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا
هو بيوسف ومعه نفر من قومه فسلم عليه ورد عليه السلام ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح وبالنبي الصالح ودعا له بخير واذا هو قد اعطي
شطر الحسن وفي رواية احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن
كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال من هذا يا جبريل قال
اخوك يوسف ثم صعد الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل
اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة
فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا
هو بادريس قد رفعه الله مكانا عليا فسلم عليه ورد عليه السلام
ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فدعا له بخير ثم صعد
الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل الباب قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه
قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن خليفة
فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا
هو بهارون ونصف لحيته بيضا ونصف لحيته سودا
تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله قوم من بني اسرائيل
وهو يقص عليهم فسلم عليه ورد عليه السلام ثم قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير فقال يا جبريل
من هذا قال هذا الرجل المحبب في قومه هرون بن
عمران ثم صعد الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ

ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ففتح لهما فلما خلصا
فجعل يمر بالنبي والنبيين معهم الرهط والنبي والنبيين معهما القوم
والنبي والنبيين ليس معهم احد ثم مر بسواد عظيم فقال من
هذا قال موسى وقومه ولكن ارفع راسك فاذا بسواد عظيم قد سد
الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقال من هذا فقال له هولاء
امتك وسوى هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب
فلما خلصا فاذا هو بموسى بن عمران رجل ادم طوال كانه من
رجال شنوءة كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دونهما
فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير وقال يزعم الناس
اني اكرم على الله من هذا بل هذا اكرم على الله مني فلما جاوزه
النبي صلى الله عليه وسلم بكى فقيل له ما يبكيك قال ابكي
لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن
يدخل من امتي يزعم بنو اسرائيل اني اكرم على الله وهذا
رجل من بني ادم خلفني في دنيا وانا في اخرة فلو انه في نفسه
لم ابال ولكن معه امته ثم صعد الى السماء السابعة فاستفتح
جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا حياه الله من اخ ومن
خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ففتح لهما فلما خلصا
فاذا النبي صلى الله عليه وسلم بابراهيم الخليل صلى الله عليه
وسلم جالس عند باب الجنة على كرسي مسند ظهره الى البيت
المعمور ومعه نفر من قومه فسلم عليه النبي صلى الله عليه
وسلم فرد عليه السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
وقال مر امتك فلتكثر من غراس الجنة فان تربتها طيبة
وارضها واسعة فقال وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا

بالله

بالله وفي رواية اقرأ امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة
التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم
في الوانهم شيء فقام هؤلاء الذين في الوانهم شيء فدخلوا نهرا فاغتسلوا
فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شيء ثم دخلوا نهرا فاغتسلوا فيه
فخرجوا وقد خلص الوانهم فصارت مثل الوان اصحابهم فجاوا وجلسوا
الى اصحابهم فقال يا جبريل من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين
في الوانهم شيء وما هذه الانهار التي دخلوها فقال اما هؤلاء البيض
الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما الذين في الوانهم شيء
فقد خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم
واما هذه الانهار فاولها رحمة الله وثانيها نعمة الله والثالث
سقاهم ربهم شرابا طهورا وقيل له هذا مكانك ومكان امتك
واذا هو بامته شطرين شطر عليهم ثياب كانها القراطيس
وشطر عليهم ثياب رمد فدخل البيت المعمور ودخل معه الذين
عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم الثياب
الرمد وهم على خير فصلى ومن معه من المؤمنين في البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه الى يوم القيامة وانه بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها ثم خرج
ومن معه وفي رواية انه عرضت عليه الانية الثلاثة المتقدمة
فاخذ اللبن فصوب جبريل فعله كما تقدم وقال كما في رواية
هذه الفطرة التي انت عليها وامتك ثم رفع الى سدرة المنتهى
واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي
ما يهبط من فوق فيقبض منها واذا هي شجرة لها ساق يخرج
من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى يسير

آخر ما عليهم

الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها واذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها
مثل اذان الفيلة تكاد الورقة تغطي هذه الامة وفي رواية الورقة منها
تظل الخلق على كل ورقة ملك فغشيها الوان لا ادري ما هي فلما غشيها
من امر الله ما غشيها تغيرت وفي رواية تحولت ياقوتا وزبرجدا
فما يستطيع احد ان ينعتها من حسنها فيها فراش من ذهب واذا
في اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقال
ما هذه يا جبريل فقال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات وفي رواية انه راى جبريل عند السدرة وله ستمائة
جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر من اجنحته التهاويل الدر
والياقوت مما لا يعلمه الا الله تعالى ثم اخذ على الكوثر حتى دخل الجنة
فاذا فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فراى على بابها مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية
عشر فقال يا جبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال لان السائل
سال وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة فسار واذا
هو بانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى واذا رمانها كالدلاء وفي رواية واذا فيها
رمان كانه جلود الابل المقتبة واذا بطير كالبخاتي فقال ابو بكر
يا رسول الله ان تلك الطير لناعمة اكلتها انعم منها واني لارجو
ان تاكل منها وراى نهر الكوثر على حافتيه قباب الدر المجوف
واذا طينه مسك اذفر ثم عرضت عليه النار فاذا فيها غضب
الله وزجره ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها فاذا قوم
ياكلون الجيف فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون
لحوم الناس وراى مالكا خازن النار فاذا هو رجل عابس
يعرف الغضب في وجهه فبدا النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام
ثم اغلقت دونه ثم رفع الى سدرة المنتهى فغشيته سحابة

واذا فيها جنابذ اللؤلؤ

فيها

فيها من كل لون فاخذ جبريل ثم عرج به حتى ظهر لمستوى سمع
فيه صريف الاقلام وراى رجلا مغيبا في نور العرش فقال من
هذا املك قيل لا قال نبي قال لا قال من هو قيل هذا رجل كان
في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب
لوالديه قط فرأى ربه سبحانه وتعالى فخر النبي صلى الله عليه وسلم
ساجدا وكلمه ربه تعالى عند ذلك فقال له يا محمد فقال لبيك
يا رب قال سل قال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت
له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت
له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا
لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورات والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه من
الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال الله سبحانه
وتعالى قد اتخذتك حبيبا قال الراوي وهو مكتوب في التورات
حبيب الله وارسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت
لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لا
اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلت
امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون والاخرون
وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك
اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واولهم يقضى له واعطيتك
سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة
وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واني يوم

ذكر

خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى امتك خمسين
صلاة فقم بها انت وامتك وفي رواية واعطي رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن
لم يشرك بالله من امته شيا المقحمات ثم انجلت عنه السحابة واخذ
بيده جبريل وانصرف سريعا فاتى على ابراهيم لم يقل شيا ثم
اتى على موسى قال ونعم الصاحب كان لكم فقال ما صنعت يا محمد
وما فرض عليك ربك وعلى امتك قال فرض علي وعلى امتي خمسين
صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف عنك
وعن امتك فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد خبرت الناس
قبلك وبلوت بني اسرائل وعالجتهم اشد المعالجة على ادنى من هذا
فضعفوا وتركوه فامتك اضعف اجسادا وابدانا وقلوبا وابصارا
واسماعا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل يستشيره
فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فرجع سريعا حتى انتهى
الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا وقال رب خفف
عن امتي فانها اضعف الامم قال قد وضعت عنهم خمسا ثم انجلت
السحابة ورجع الى موسى فقال وضع عني خمسا فقال ارجع الى
ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فلم يزل
يرجع بين موسى وبين ربه وهو يحط عنه خمسا خمسا
حتى قال يا محمد قال لبيك وسعديك قال هي خمس صلوات
كل يوم وليلة بكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة لا يبدل
القول لدي ولا ينسخ كتابي ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت
له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب شيا فان عملها كتبت سيئة واحدة فنزل
حتى انتهى الى موسى فاخبره فقال ارجع الى ربك فاسأله
التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فقال قد راجعت

ربي حتى استحييت منه ولكن ارضى واسلم فنادى مناد ان قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي فقال موسى اهبط باسم الله ولم يمر على ملأ من الملائكة الا قالوا عليك بالحجامة وفي رواية مر امتك بالحجامة ثم انحدر فقال لجبريل مالي لم اتي اهل السماء الا رحبوا بي وضحكوا الي غير واحد سلمت عليه فرد السلام ورحب ودعا لي ولم يضحك فقال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك لك فلما نزل الى سماء الدنيا نظر الى اسفل منه فاذا هو برهج ودخان واصوات فقال ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على اعين بني ادم لا يتفكرون في خلق السموات والارض ولولا ذلك لراوا العجائب ثم ركب منصرفا فمر بعير لقريش بمكان كذا وكذا منها جمل عليه غرارتان غرارة سودا وغرارة بيضا فلما حاذى العير نفرت واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ومر بعير قد ضلوا بعيرا لهم يجمعه فلان فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى اصحابه قبيل الصبح بمكة فلما اصبح قطع وعرف ان الناس تكذبه فقعد حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجاء حتى جلس اليه فقال له كالمستهزئ هل كان من شيء قال نعم قال ما هو قال اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم يران يكذبه مخافة ان يجحده الحديث ان دعا قومه اليه قال ارايت ان دعوت قومك اتحدثهم بما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لوي هلم فانفضت اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسري الليلة بي قالوا الى اين قال الى بيت المقدس

قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فمن بين مصفق ومن بين واضع يده علي راسه متعجبا وضجوا واعظموا ذلك فقال المطعم بن عدي كل امرك قبل اليوم كان امما غير قولك اليوم انا اشهد انك كاذب نحن نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك اتيته في ليلة واللات والعزي لا اصدقك فقال ابو بكر يا مطعم بيس ما قلت لابن اخيك جبهته وكذبته انا اشهد انه صادق فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل وفي القوم من سافر اليه فذهب ينعت لهم بناوه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا فما زال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت فكرب كربا اشد ما كرب مثله فجيء بالمسجد وهو ينظر اليه حتى وضع دون دار عقيل او عقال فقالوا كم للمسجد من باب ولم يكن عدها فجعل ينظر اليها ويعدها بابا بابا ويعلمهم وابو بكر يقول صدقت اشهد انك رسول الله فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب ثم قالوا لابي بكر افتصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لا صدقه فيما هو ابعد من ذلك اصدقه في خبر السماء في غدوة او في روحة فبذلك سمي ابو بكر الصديق ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فقال اتيت على عير بني فلان بالروحا وقد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت الى رحالهم وليس بها منهم احد واذا بقدح ما فشربت منه ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيه جمل احمر عليه غرارة سودا وغرارة بيضا فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير بني فلان في التنعيم يقدمها جمل اورق عليه مسح اسود وغرارتان سودا اوان وها هي ذه تطلع عليكم من الثنية قالوا فمتى تجي قال

خ انه قولك

يوم

يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
وقد ولي النهار فلم تجي فدعا النبي صلي الله عليه وسلم فزيد
له في النهار ساعة وحبس الشمس حتي طلعت العير فاستقبلوا
الابل فقالوا هل ضل لكم بعير قالوا نعم قالوا فهل عندكم قصعة
من ما فقال رجل انا والله وضعتها فما شربها احد منا ولا
اهريقت في الارض فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد فانزل
الله تعالي وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس
ولنشرع الان بمعونة الله في الكلام علي بعض الفوايد المتعلقة
بقصة الاسراء والمعراج من عدة اوجه الوجه الاول في كيفية
الاسراء والمعراج وهل تكررا ولا وقد اختلف في ذلك والذي
ذهب اليه الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقها والمتكلمين
الي انهما وقعا في ليلة واحدة بالروح والجسد معا في اليقظة
لا في المنام من مكة الي بيت المقدس الي السموات العلي
الي سدرة المنتهي الي حيث شا العلي الاعلي قال القاضي
عياض وغيره وهو الحق وعليه تدل الاية نصا وصحيح
الاخبار الي السموات استفاضة ولا يعدل عن الظاهر والا
خبار الواردة فيه ولا عن الحقيقة المتبادرة الي الاذهان
من الفاظها الي التاويل الا عند الاستحالة ويقدم حمل اللفظ
علي حقيقته وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة
توذن بتاويل اذ لو كان مناما لقال سبحان الذي اسري بروح
عبده ولم يقل بعبده والعبد حقيقة هو الروح مع الجسد كما قدمنا
ذلك ولو كان مناما لما كان فيه اية ولا معجزة خارقة للعادة
توجب صدقه واذ كان رويا الانبيا وحيا اذ ليس فيه من
الابلغية وخرق العادة ما فيه يقظة وايضا لو كان مناما
لما استبعده المشركون ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفاء من

حـ ٧
وذلك

ما أسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن منهم
ذلك الا استبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان الا وقد علموا
انه خبر انما كان عن جسمه وحال يقظته وهذا بعيد من ساحة
العادة خصوصا ووقوعها في مثل ذلك الزمن مما يستبعد جدا
وذهب بعضهم الى ان الاسرا كان في ليلة والمعراج كان في ليلة اخرى
قال ابن دحية والى جنح البخاري لانه افرد لكل منهما ترجمة
قال الحافظ ابن حجر ولا دلالة في ذلك على التغاير عنده بل
كلامه في اول الصلاة ظاهر في اتحادهما وذلك انه ترجم
باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسرا والصلاة انما فرضت
في المعراج فدل على اتحادهما عنده وانما افرد كلا منهما بترجمة
لان كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا اهـ
ويؤيد وقوع المعراج عقب الاسرا في ليلة واحدة رواية ثابت
عند مسلم اتيت بالبراق فركبت حتى اتيت بيت المقدس فذكر
القصة الى ان قال ثم عرج بنا الى سماء الدنيا وحديث ابي سعيد
الخدري عن ابن اسحاق فلما فرغت مما كان في بيت
المقدس اتي بالمعراج فذكر الحديث وذهب جماعة الى ان
الاسرا كان بروحه في المنام ويعزى هذا المذهب لمعاوية
رضي الله عنه واحتج لذلك بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس والرؤيا انما تطلق على ما كان مناما
ولظاهر ما في بعض الاحاديث لقوله بينما انا نائم وفي بعض الطرق
فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ويعزى هذا المذهب ايضا
لعائشة رضي الله عنها لما في حديث ابن اسحاق في قولها
ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسري بروحه
واجيب عن الاية بان الرؤيا قد تكون بمعنى الرؤية
في اليقظة كما نقل عن ابن عباس وبان قوله فتنة للناس

يؤيد

يؤيد انها رؤيا عين اذ ليس في الحلم فتنة ولا تكذيب احد وعن
قوله بينما انا نائم بانه اول مجيء الملك اليه وهو نائم فايقظه لا انه
استمر نائما واما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فمعناه
افقت اي افاقة مما كان عليه من شغل البال بمشاهدة عجائب
الملكوت ورجع الى عالم الملك فلم يرجع الى حال البشرية الا وهو
بالمسجد الحرام على ان الحديث الذي ورد فيه ذكر النوم موهم
فان العلما اتفقوا على ان شريكا راويه اضطرب فيه وما حفظه
وزاد ونقص وقدم واخر وعن ما يروى لعائشة بانه لم يرد
سند يصلح للحجة بل في سنده انقطاع وراو مجهول وعلى
تقدير صحته فعائشة لم تكن زوجة اذ ذاك ولا كانت في سن
من يضبط الامور وعلى القول بان الاسراء كان بعد المبعث
بعام لم تكن ولدت بعد فاذا لم تشاهد ذلك دل على انها حدثت
به عن غيرها فلم يرجح خبرها مع قول ام هانئ بخلافه وذهب
جماعة منهم الامام ابو شامة الى تكرار الاسراء والمعراج
واحتج بما رواه البزار وغيره عن انس من قصة في المعراج
مخالفة لما تقدم في قصته قال الحافظ ابن حجر ولا يبعد في
مثل ذلك في المنام وانما المستغرب وقوع التعدد في قصة المعراج
التي وقع فيها السؤال عن كل نبي وسؤال اهل كل سماء هل
ابعث اليه وفرض الصلاة الخمس وغير ذلك فان تعدد مثل
ذلك في اليقظة لا يتجه فيتعين رد بعض الروايات المختلفة
الى بعض والترجيح الا انه لا بعد في وقوع جميع ذلك في المنام
ثم وقوعه في اليقظة على ما وافقه اهـ وقد ذهب جماعة
منهم البغوي وجزم به النووي في فتاويه الى ان الاسراء
وقع [illegible] مرتين مرة في النوم ومرة في اليقظة قالوا
او كانت مرة النوم توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدؤ نبوته

قوح ج

الرؤيا الصادقة ليسهل عليه امر النبوة فانه امر عظيم تضعف
عنه القوى البشرية وكذلك الاسراء سهله عليه بالرؤيا لان
هوله عظيم فجاء في اليقظة على وفقه في المنام توطئة وتقدمة
رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه الوجه الثاني في وقت
الاسراء به ومكانه اما وقت الاسراء به فالصواب الذي
اتفق عليه عليه العلماء ان الاسراء كان بعد البعثة واما ما
وقع في بعض الروايات انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه
فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيحمل على
ان المجيء الثاني كان بعد ان اوحي اليه وحينئذ وقع الاسراء والمعراج
واذا كان بين المجيئين ليلة فلا فرق بين ان تكون قليلة
او كثيرة قال ابن كثير وهذا الحمل هو الاظهر وبه يرتفع
الاشكال كما قاله الحافظ ابن حجر ويحتمل كما قاله بعضهم
ان يكون المعنى قبل ان يوحى اليه في شأن الاسراء والمعراج
مثلا اي وقع ذلك بغتة قبل ان ينذر به واختلفوا في
اي سنة كان فجزم جمع منهم انه كان قبل الهجرة بسنة
وجرى عليه النووي وبالغ ابن حزم فنقل فيه الاجماع
وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الاثير وقال
القاضي عياض قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه بالاتفاق
على ان خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة وانها ماتت
قبل الهجرة بثلاث او خمس ولا خلاف ان فرضها كان
ليلة الاسراء واجيب بان الصلاة التي صلتها معه هي التي
كانت اول البعثة وكانت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي
وانما الذي فرض ليلة الاسراء الصلوات الخمس وماتت
خديجة قبل ذلك وقيل كان بعد البعثة بخمس سنين وقيل
بخمسة عشر شهرا وقيل بعام ونصف واختلفوا في اي شهر

كان

كان فجزم بن الاثير وجمع منهم النووي في فتاويه كما في النسخ المعتمدة بانه كان في ربيع الاول قال النووي ليلة سبع وعشرين وجرى عليه جمع و في بعض نسخ شرح مسلم انه كان في ربيع الثاني كما في بعض نسخ الفتاوي وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وجزم به النووي في الروضة تبعا للرافعي وقيل كان في رمضان وقيل في شوال وعليه فهذا اليوم الذي اسفرت عنه تلك الليلة بانه يوم الاثنين وكون المعراج يوم الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون الوفاة يوم الاثنين قال فان هذه اطوار الانتقالات النبوية وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة فهذه خمسة اطوار فيكون يوم الاثنين في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة في حق ادم عليه الصلاة والسلام فيه خلق وفيه انزل الى الارض وفيه تاب الله عليه وفيه مات وكان اطواره الوجودية والدينية خاصة بيوم واحد وروى بن ابي شيبة عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم قالا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به الى السماء وفيه مات وقولهما وفيه عرج به الى السماء اراد الليلة لان الاسراء كان بالليل اتفاقا واما مولده صلى الله عليه وسلم فالصحيح انه كان نهارا كما قاله البدر الزركشي وقيل كان ليلا فعليه المراد انشاء ليلته كما تقدم وعليه اما مكانه فباعتبار البلد المشهور انه كان بمكة ومن قال بالمدينة فمحمول على التعدد في المنام وباعتبار المكان الخاص فيؤخذ من الاحاديث اقوال ففي رواية انه كان عند البيت في اخرى في الحطيم وربما قال في الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر كما قاله ابن حجر وفي رواية فرج سقف بيتي وانا بمكة وفي رواية انه اسري به من شعب ابي طالب

ثنية

وفي رواية انه كان في بيت ام هانئ قال الحافظ ابن حجر والجمع
بين هذه الاقوال انه نام في بيت ام هانئ وبيتها عند شعب
ابي طالب ففرج عن سقف بيته واضاف البيت اليه لانه كان
يسكنه فنزل منه الملك واخرجه الى المسجد فكان به مضطجعا
وبه اثر النعاس ثم اخرجه الى باب المسجد فاركبه البراق قال
وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن اسحاق فاتاه فاخرجه الى
المسجد وهو يؤيد هذا الجمع اهـ وقال بعضهم ليس بين قوله
بينما انا في المسجد وبين قوله في بيتي او في بيت ام هانئ تناف
لانه قد يكون المراد بالمسجد الحرام الحرم كله اهـ الوجه الثالث
هل وقع الاسراء لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
او هو من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجاب العارف
عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسراء بالجسم الى تلك
الحضرات العلية لم تكن لاحد من الانبياء الا لنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وقد عده ايضا من خصائصه صلى الله عليه وسلم الحافظ
الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى والكبرى الوجه الرابع
قال ابن المنير كانت كرامته صلى الله عليه وسلم في المناجاة على
سبيل المفاجاءة كما اشار له بقوله بينما انا و وجعت موسى صلى
الله عليه وسلم عن ميعاد واستعداد لحمل عنه صلى الله عليه وسلم
الم الانتظار ويؤخذ من ذلك ان مقام النبي صلى الله عليه
وسلم بالنسبة الى مقام موسى صلى الله عليه وسلم مقام المراد
بالنسبة الى مقام المريد وقال ابن دحية في قوله فرج سقف
بيتي لم لم يدخل عليه من الباب مع قوله تعالى واتوا البيوت
من ابوابها فالحكمة في ذلك المبالغة في المفاجاءة والتنبيه
على ان الكرامة والاستدعاء كانا على غير ميعاد والاشارة الى ما سيقع
من شق صدره والتئامه بلا معالجة فاراه الملك باء فراجه من سقف

والتئامه

والنائم على الفور كبقية ما يصنع به وقرب له الامر لطفا في حقه وتثبيتا لعزمه وقال بعضهم الحكمة في نزوله عليه من السقف التنبيه على ان المراد منه ان يعرج به الى العلو الوجه الخامس الرجلان اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم نائما بينهما لعله الليلة حمزة وجعفر رضي الله عنهما قال ابن ابي حمزة وفي هذا دليل على تواضعه صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه اذ انه في الفضل حيث هو ومع ذلك كان يضطجع مع الناس ويتوسدهم ولم يجعل لنفسه الكريمة مزية عليهم وفيه دليل على جواز نوم جماعة في موضع واحد لكن يشترط في ذلك ان يكون لكل منهم ما يستر به جسده عن صاحبه الوجه السادس فيما وقع له من شق صدره الشريف وقد انكر بعضهم وقوع ذلك ليلة الاسراء وقال انما كان ذلك وهو صغير في بني سعد قال الحافظ ابن حجر وغيره ولا انكار في ذلك فقد تواترت به الاخبار ووقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات الاولى وهو صغير في بني سعد عند مرضعته حليمة الثانية عند البعثة الثالثة ليلة الاسراء ولكل من الثلاثة حكمة فالاولى التي كانت في زمن الطفولية لينشأ على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس والثانية التي عند البعثة زيادة في الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال من التطهير والثالثة التي عند ارادة العروج الى السماء ليتاهب الى المناجاة قال الحافظ المذكور ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما هي في شرعه صلى الله عليه وسلم في الطهارة قال بعضهم وهذه الحكمة من اعظم الحكم والطفها وادقها وحقها ان تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب لارتفاع محلها قال قدس سره لداخل الحرم الشرعي فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة

فلماكان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات انيط الغسل
له بظاهر البدن في عالم المعاملات ولما كانت الحضرة الشريفة من
عالم الملكوت وهو باطن الكائنات انيط الغسل بباطن البدن
في التحقيقات وقد عرج به لتفرض عليه الصلات وليصلي بملائكة
السموات ومن شأن الصلات الطهور فقدس ظاهرا وباطنا
فلو صلى الله عليه وسلم وان كان الله تعالى خلقه نورا متنقلا من
الانبياء وفي صفاء النور ما يغني عن التطهير الحسي لكن الغسلة الاولى
لعلم اليقين والثانية لعين اليقين والثالثة لحق اليقين وقد
ورد ان صدره صلى الله عليه وسلم شق ايضا وهو ابن عشر
سنين فتكون المرات اربعا وذكر بعضهم في حكمة ذلك ان
العشر لما كان قريبا من سن التكليف شق صدره عليه الصلاة
والسلام وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال قال
الحافظ ابن حجر وما ذكر من شق الصدر واستخراج القلب مما
يجب التسليم له ولا يصرف عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا
يستحيل شيء من ذلك ويرده كما قاله بعضهم الحديث الصحيح انهم
كانوا يرون اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم قال ابن
المنير وشق الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبره عليه من جنس
ما ابتلي به الذبيح وصبر عليه بل هذا اشق واجل لان تلك معا
ريض وهذه حقيقة وايضا قد تكرر ووقع له وهو رضيع بعيدا
من اهله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف هل كان شق الصدر
وغسله مخصوصا به او وقع لغيره من الانبياء قال الحافظ ابن
حجر في الفتح وقد وقع عند الطبراني في قصة تابوت بني
اسرائيل انه كان فيه الطست التي تغسل فيه قلوب الانبياء
وهذا مشعر بالمشاركة اهـ ومع الحافظ الجلال السيوطي في
خصائصه الصغرى عدم المشاركة وانه من خصائصه صلى الله
عليه

عليه وسلم وخالفه تلميذه العلامة محمد الشامي فقال الراجح المشاركة
واستند لقصة تابوت بني اسرائيل من طريق السدي الكبير كما
رواه سعيد بن منصور وابن جرير بسند صحيح بزيادة على
ما تقدم قال ولم ار لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بل الخص
الشديد قلت لكن يمكن ان يقال وقع شق الصدر له صلى الله
عليه وسلم مع تكرره ثلاث مرات او اربعا لم يشاركه احد
من الانبياء فيه وعليه يحمل كلام السيوطي واما مطلق شق
الصدر فوقعت فيه المشاركة لغيره من الانبياء وعليه يحمل
كلام غيره ومستند ما قلته ان تكرر شق الصدر له صلى
الله عليه وسلم ثبت في الاحاديث التي بعضها في الصحيح ولم يأت
وقوع شق الصدر لغيره انما يؤخذ من القصة المذكورة
وليس فيها تعرض لتكرر هذا ما ظهر والله اعلم واختلفوا هل
وقع ذلك مع مشقة ام لا فقال ابن حجر من غير مشقة وبه
جزم ابن الجوزي فقال فشقه وما شق عليه وقاله ابن
دحية بمشقة عظيمة ولهذا انتقع لونه اي صار كلون النقع
وهو الغبار وهذه صفة لون الميت قال بعضهم رواية
انتقع لونه حكاية لما وقع له في المرة الاولى وهو صغير في بني
سعد وفي حديث ابي هريرة في المرة الثانية وهو ابن عشر
ما يؤيد انه لم يقع له مشقة في المرة الاولى ووقع سؤال
هل كان شق صدره صلى الله عليه وسلم بآلة قال بعض المحدثين
لم ار من تعرض له بعد التتبع والظاهر وقد قيل انه كان
بآلة الوجه السابع في الحكمة في اختصاص الاتيان بطست
من ذهب اما الطست فلكونه اشهر الآلات
عند الغسل عرفا واما كونه من ذهب فلانه اعلى الاواني
واصفاها ولان فيه خواص ليست في غيره منها انه من اواني

الجنة والله لا تأكله النار ولا التراب ولا يصدا ولانه اثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي قال السهيلي وابن دحية ان نظر الي لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب ثقيل واما تحريم استعماله فهو مخصوص باحوال الدنيا وذلك كان من احوال الغيب فيلحق بامور الاخرة وقال النووي ليس في هذا الخبر ما يوهم جواز استعمال ان الذهب والفضة لان هذا فعل الملائكة واستعمالهم وليس بلازم ان يكون حكمهم كحكمنا ولانه كان قبل تحريم النبي صلى الله عليه وسلم استعمال اواني الذهب والفضة اهـ اي لان التحريم انما وقع في المدينة كما نبه عليه الحافظ ابن حجر وهذا احسن من جوابه الاول لانه تعقب بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله لنزه عن يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم الوجه الثامن يؤخذ من غسل قلبه بماء زمزم انه افضل من ماء الكوثر لانه لم يكن يغسل قلبه الشريف الا بافضل المياه قاله الامام البلقيني وقال الامام ابن ابي جمرة انما لم يغسل بماء الجنة انما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع في زمزم من كون اصل مائها من الجنة ثم استقر في الارض فاريد بقاء بركته صلى الله عليه وسلم في الارض اهـ وقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع قال الحافظ الزين العراقي ولذلك غسل به قلبه عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت الوجه التاسع في معنى ما ورد في القصة انه لما استخرج قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم فغسله ونزع ما فيه من اذى وفي بعض

الروايات

الروايات انه اخرج منه علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان
منك وقد سئل الامام تقي الدين السبكي رحمه الله عن
العلقة السوداء التي اخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين
شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب
رحمه الله تعالى بان تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب
البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه
صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لان يلقي الشيطان
فيه شيا هذا معنى الحديث وان لم يكن للشيطان فيه حظ
واما الذي نفاه الملك امر هو في الجبلات البشرية فازيل
القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في القلب
قيل له فلم خلق الله تعالى هذا القابل في هذه الذات الشريفة
وكان يمكن ان لا يخلقها الله تعالى فيه فقال انه من جملة الا
جزاء الانسانية فخلقه تكملة للخلق الانساني فلا بد منه
ونزعه كرامة ربانية طرأت وقال غيره لو خلق الله نبيه
صلى الله عليه وسلم سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع
على حقيقته فاظهره الله على يد جبريل عليه السلام ليتحققوا
كمال باطنه مابرز لهم مكمل ظاهره الوجه العاشر في معنى
كون الطست مملوء حكمة وايمانا وافرغه في الصدر مع
ان الايمان والحكمة من الاعراض وهي لا يوصف بها
الا محلها الذي تقوم به ولا يجوز فيها الانتقال لانه
من صفات الاجسام قال الامام النووي والحافظ ابن حجر
المعنى جعل في الطست شيء يحصل به زيادة في كمال
الايمان وكمال الحكمة وهذا المملوء يحتمل انه يكون على
الحقيقة وتجسد المعاني جائز كما جاء ان سورة البقرة
تجيء يوم القيامة كانها ظلة والموت في صورة كبش

وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك وقد اختلف في تفسير الحكمة
على اقوال كثيرة قال النووي والذي صفا لنا منها انها العلم
المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس
وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك
وقوله فافرغه الطست الممتلي ايمانا وحكمة في صدره والمراد
به القلب فسماه باسم ما هو فيه وهو الصدر قال الشيخ ابو محمد
ابن ابي جمرة الحكمة في شق صدره مع القدرة على ان يمتلي قلبه
ايمانا وحكمة بغير شق الزيادة في قوة اليقين لانه اعطي برؤية
شق صدره وعدم تاثره بذلك ما امن معه من جميع المخاوف
العادية فلذلك كان اشجع الناس حالا ومقالا ولذلك وصف
بقوله ما زاغ البصر وما طغى الوجه الحادي عشر في الحكمة في
الختم بين كتفيه بخاتم النبوة مع بعض الكلام على الخاتم المذ
وقدره قال الامام السهيلي الحكمة في وضع خاتم النبوة على
جهة الاعتبار انه لما ملي قلبه ايمانا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملو
مسكا او درا فجمع الله تعالى اجزاء النبوة لسيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتممه وختم عليه بختمه فلم تجد نفسه ولا
عدوه سبيلا اليه من اجل ذلك الختم لان الشيء المختوم محروس
ولذلك قد بين الله تعالى لنا في هذه الدار اذا وجد احدنا الشيء
بختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما بين الادميين فلذلك
ختم رب العالمين في قلبه ختما يطمئن له القلب الذي القي النور
فيه ونفذ بخاتمه قوة القلب فظهر بين كتفيه كالبيضة وقد
اختلف في موضع الختم من جسده فوقع في بعض الاحاديث
انه بين كتفيه وفي صحيح مسلم انه عند نغض كتفه اليسرى
وفي رواية شاذة انه عند غضروف كتفه اليمنى والنغض
بنون تضم وتفتح فغين ساكنة فضاد معجمتين اعلا الكتف

خرج بطنه

كوز

عند

عند الجمهور والغضروف بغين معجمة مضمومة فضاد ساكنة فمعجمتين فواو ففاء راس لوح الكتف ووقع في حديث شداد بن اوس في مغازي ابن عائذ في قصة شق صدره وهو في بلاد بني سعد بن بكر واقبل وفي يده خاتم وله شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه قال الحافظ ابن حجر وهذا قد يؤخذ منه ان الختم قد وقع في موضعين من جسده والعلم عند الله تعالى ومقتضى الاحاديث التي فيها شق الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان اول وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به او حين وضع قال السهيلي والحكمة في كون الخاتم عند نغض الكتف انه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يدخل الشيطان يوسوس لان القلب من تلك الجهة وقد اختلف في صفة خاتم النبوة على اقوال كثيرة نحو العشرين قولا متقاربة المعنى ففي رواية انه مثل زر الحجلة والزر واحد الازرار والحجلة واحد الحجال وهي بيت كالقبة لها ازرار كبار وعرى كالبشخانة وهذا هو الاشهر في تفسير ذلك وفي رواية انه كجمع بضم الجيم واسكان الميم اي كجمع الكف وهو صورته بعد ان تجمع الاصابع وتضمها وفي رواية انه كبيضة الحمامة وفي اخرى انه شعر مجتمع قال بعض العلماء اختلفت اقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبهه بما سنح له وكلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلان الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الاخرى انها شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات كانها عرف الفرس وقال القرطبي دلت الاحاديث الثابتة على ان خاتم النبوة كان شيئا بارزا احمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر

كب

ببضة الحمامة واذا كبر جمع اليد وذكر نحوه القاضي عياض
وتارة وامام وانه جمع الكف فظاهر المخالفة فتناول على
وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف
لكنه اصغر منه في قدر ببضة الحمامة واخرج الحاكم في المستدرك
عن وهب بن منبه قال لم يبعث نبيا الا وقد كان عليه شامة
النبوة في يده اليمنى الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فان
شامة النبوة كانت بين كتفيه قال في المواهب وعلى
هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص
به على سائر الانبياء والله اعلم وذكر الحافظ مغلطاي في الزهر
ان الحاكم روى في تاريخه عن عائشة انها لمست الخاتم حين
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد رفع اهـ
قال الحكمة في رفعه عند موته صلى الله عليه وسلم مع ان
النبوة والرسالة باقيتان بعد موته حقيقة كحياته
في قبره كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه لما وضع
الحكمة وهو تمام الحفظ والعصمة من الشيطان وقد تم
الامن منه بالموت فلم يبق لبقائه في جسده فائدة
الوجه الثاني عشر في الكلام على البراق وفي الحكمة في
ركوبه صلى الله عليه وسلم وفي حكمة استصعابه عند
ارادة الركوب عليه فالبراق بضم الموحدة وتخفيف
الراء مشتق من البريق فقد جاء في لونه انه ابيض
او من البرق لوصفه بسرعة السير او من قولهم شاة برقا
اذا كان خلال صوفها الابيض طاقات سود ولا
ينافيه وصفه في الحديث بالبياض لان البرقا في الغنم
معدودة في البيض ويجوز ان يجمع بين المعنيين
فسمي براقا للونه ولسرعة سيره ويحتمل ان لا يكون مشتقا

وقد ورد

وقد ورد في صفته اقوال امثلها ما ذكر في القصة عن ابن عباس
والسر في كون جناحيه في فخذيه تنقل مؤخر الدابة اولان ذلك جار
على هذا الامر في خرق العادة او لاجل الراكب لانهما لو كانا في جنبيه
على العادة لكانا تحت فخذي الراكب او فوقهما ويحصل له مشقة بهما
ولنشرهما خصوصا مع السرعة العظيمة وفي بعض الآثار ان البراق
ليس بذكر ولا انثى فاقتضى ذلك ان يكون منفردا بالخلق
بهذه الصفة من غير توليد وقد قال تعالى ومن كل شيء خلقنا
زوجين لكن نقل الشيخ سعد الدين التفتازاني ان الملائكة
الكرام لا ذكور ولا اناثا الى آخر ما ذكره وفي اثر آخر ان جبريل
خاطبه خطاب المؤنث قال ابن ابي جمرة ما ملخصه وانما
كان ركوبه صلى الله عليه وسلم البراق والقدرة صالحة لان
يصعد بنفسه من غير براق لكن كان البراق بشارة له في
تشريفه لانه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماش والراكب
خلاف الماشي وقال ابن دحية ما ملخصه ايضا ولعل الاسراء
بالبراق اظهارا للكرامة العرفية فان الملك العظيم اذا استدعى
وليا له وخصيصا به واختصه اليه بعث اليه بمركوب سني يحمله
عليه في وفادته اليه ولم يكن البراق بشكل الفرس ولكنه بشكل
البغل للاشارة الى ان الركوب في سلم وامن لا في حرب وخوف
اولاظهار المعجزة في الاسراع العجيب من دابة ما يوصف
شكلها بالاسراع الشديد في عادة فان قيل هلا كان الاسراء
على اجنحة الملائكة او الريح كما كانت تحمل سليمان عليه السلام
او الخطوة كطي الزمان قلت المراد اطلاعه على الآيات
الخارقة للعادة وما ينضمن امر العجيبا ولا عجب في حمل
الملائكة او الريح بالنسبة الى قطع المسافة بخلاف قطعها على
دابة في هذا الجسم المحكي عن صفتها ووقع من تعظيمه بالملائكة

ما هو اعظم من حمله على اجنحتها فقط فقد اخذ جبريل بركابيه وميكائيل بزمام البراق وهما من اكابر الملائكة فاجتمع له صلى الله عليه وسلم حمل البراق وما هو كحمل البراق من الملائكة وهذا اتم في الشرف قاله في فتح الصفا وقد اختلف في حكمة استصعاب البراق فقال ابن بطال انما استصعب عليه لبعد العهد بركوب الانبياء قبله ويؤيده ما ورد في بعض طرق القصة فاستصعب البراق وكانت الانبياء تركبها قبلي وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة وقال بعض المتأخرين وهو الشيخ قاسم الحنفي رحمه الله تعالى ولا يبعد ان يقال انما كان استصعابه فرقا من هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام العيني في شرح البخاري وسمع العبد الضعيف من بعض مشايخه الثقات انه انه انما كان لبعده الرسول عليه الصلاة والسلام بالركوب عليه يوم القيامة فلما وعد له ذلك قر وذلك لانه قد جاء في التفسير في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ان الله تعالى اعد له في الجنة اربعين الف براق ترعى في مروج الجنة اهـ وقد روى ابن نجويه في فضائل الاعمال عن كثير بن مروة الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى يوافي بها المحشر وانا على البراق اختصصت به من دون الانبياء يومئذ ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي على ظهرها بالاذان فاذا سمعت الانبياء وامم ها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك قال ابن دحية وابن المنير انما استصعب تيها وزهوا بركوب النبي صلى الله عليه وسلم واراد بقوله امحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه لمكان النبي صلى الله عليه وسلم منه ولهذا قال فارفض عرقا فكانه

أجابه

اجابه بلسان الحال مشيرا من الاستصحاب وعرق من محل
العتاب وذلك قريب من رجفة الجبل به حين قال له اثبت فانما
عليك نبي وصديق وشهيد فهي هزة طرب لا هزة غضب
ولم يسم الله سبحانه سير البراق برسول الله صلى الله عليه وسلم
طيرانا وانما سماه بما يسمى به السير المعتاد وسير الليل عند
العرب يسمى اسراء فيؤخذ من هذا ان الولي اذا طويت له الارض
البعيدة في الساعة القريبة يتناوله اسم المسافر وتلحقه احكام
المسافر باعتبار القصر والفطر وانما يذكر البراق في الرجوع
لان ذلك معلوم بذكره في الصعود كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر
يعني والبرد ويؤخذ مما ذكر في القصة وهنا من ان الانبياء
عليهم الصلاة والسلام ركبوا البراق وان ركوبه ليس من خصائصه
صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما من خصائصه
لم يرد لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الوجه الثالث
عشر في قوله في القصة وتكلم اربعة وهم صغار فذكر ابن الماشطة
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقد تكلم
في المهد جماعة غيرهم وصلوا الاربعة المذكورين عشرة ففي
الصحيحين عن حديث ابي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد
الا ثلاثة فذكر عيسى وصاحب جريج وابن المراة التي مر عليها
بامراة يقال لها زنت وفي صحيح مسلم في قصة اصحاب الاخدود
ان امراة جيء بها لتلقى في النار لتكفر ومعها صبي مرضع فتقاعست
وقال يا امه اصبري فانك على الحق وفي رواية عن ابن ابي قتيبة
انه كان ابن سبعة اشهر وروى الثعلبي عن الضحاك ان
يحيى بن زكريا تكلم في المهد وذكر البغوي في تفسيره ان ابراهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم تكلم وفي سير الواقدي ان نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم تكلم في اوائل ما ولد وقد تكلم في زمنه

مبارك اليمامة وهو طفل كما في الدلائل للبيهقي فهولاء عشرة
واما قوله صلى الله عليه وسلم المروي في الصحيحين كما تقدم لم
يتكلم في المهد الا ثلاثة الخ فقال الزركشي اي من بني اسرائيل
وقال غيره قاله قبل ان يعلم بالزيادة وقد نظم اسما المتكلمين
في المهد العشرة الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى فقال

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي ... يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك يختم

الوجه الرابع عشر ذكر في قصة نزوله صلى الله عليه وسلم من البراق
وصلاته بعده مواضع وقال حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يزايل ظهر البراق هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس
قال الحافظ ابن حجر وهذا لم يسنده حذيفة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاده قال بعضهم ويدل على ذلك انكاره ربط
البراق والصلاة في بيت المقدس مع ورود الاحاديث الصحيحة عن
جماعة من الصحابة بوقوع ذلك وظاهر قول حذيفة لم يزايل هو
وجبريل ظهر البراق ان جبريل كان راكبا البراق مع النبي صلى الله عليه
وسلم وقد اختلف في ذلك واجاب بعضهم عن قول حذيفة بانه يحتمل
ان يكون قوله هو وجبريل متعلق بمرافقته في السير لا في الركوب وقال
ابن دحية معناه وجبريل قايدا او سايقا او دليلا قال واما جزمنا بذلك
لان قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره
فيها وقد تعقب الحافظ ابن حجر التاويل المذكور بان في صحيح ابن
حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل حمله على البراق رديفا له
وفي رواية الحارث في مسنده اتي بالبراق فركبه خلف جبريل فسار
بهما وهذا وما قبله صريح في ركوبه معه وان كان خلف جبريل رديفا له

لكن

لكن في حديث ابن ابي ليلي الذي رواه الطبراني ان جبريل اتي النبي
صلي الله عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه والله اعلم واما ماتقدم
من انكار حذيفة ربط البراق فروي الامام احمد والترمذي عنه
انه لما قيل له ربط البراق اربط البراق قال اخاف ان يفر منه وقد
سخره له عالم الغيب والشهادة قال البيهقي والسهيلي والمثبت
مقدم علي النافي معني من اثبت ربط البراق بيت المقدس معه
زيادة علم علي من نفي فهو اولي بالقبول وقال الامام النووي وفي
ربط البراق الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان
ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد علي الله سبحانه وتعالي وقال
السهيلي في هذا من الفقه التنبيه علي الاخذ بالاحوط مع صحة التوكل
وان الايمان بالقدر كما روي عن وهب بن منبه لا يمنع الجزم
من توقي المهالك قال وهب وجدته في سبعين كتابا من كتب
الله القديمة وهذا نحو قوله صلي الله عليه وسلم اعقلها وتوكل اياه
صلي الله عليه وسلم بانه قد يكون لكايمانه بقدر الله تعالي وعلمه
انه قد سبق في ام الكتاب ما سبق ومع ذلك كان يتردد في اسفاره
ولبس السلاح في حروبه حتي لقد ظاهر بين درعين في غزوة احد
وربط البراق من هذا الفن وقوله ان جبريل اتي الصخرة فوضع
اصبعه فيها فخرقها وشد بها البراق قال الطيبي في شرح المشكاة
فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين حديث انس فربطه بالحلقة
التي تربط بها الانبياء قلت المراد من الحلقة الموضع الذي كان فيه
الحلقة وقد استد نخرقه جبريل عليه الصلاة والسلام اهـ
وهذا الجمع لا يصح لان الحلقة وموضعها بالباب والذي خرقه جبريل
باصبعه انما هو الصخرة وهي داخلة في المسجد بعيدة عن
الباب والاولي ما قاله بعضهم في الجمع انه صلي الله عليه وسلم ربطه
اولا بالحلقة تادبا واتباعا للانبياء فاخذه جبريل وحله من الحلقة

كل

نه

وخرق العضرة وشدة بهاانه يقول انت ممن لسق ممن يكون
موكوبه بالباب بل انت اعلي واعلي فلا يكون مركوبك الا في داخل المحل
وهذا امر مشاهد في العادة بين الكبري الوجه الخامس عشر في صلاة
صلي الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس تظافرت الروايات
انه صلي الله عليه وسلم بالأنبياء في بيت المقدس قبل العروج وهذا
احد الاحتمالين للقاضي عياض وقال الحافظ بن حجر انه الاظهر
والاحتمال الثاني انه صلي الله عليه وسلم صلي بهم بعد ان هبط
من السماء فهبطوا ايضا وصححه الحافظ بن كثير وقال بعضهم وما
المانع من انه صلي الله عليه وسلم صلي بهم مرتين فان بعض الاحاديث
ذكر الصلاة بهم بعد ذكر المعراج وهذه الصلاة التي صلاها النبي
صلي الله عليه وسلم بالانبياء صلي الله عليهم وسلم الصواب انها
الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود لان الشرع يحمل علي حقيقته
الشرعية قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله علي الشرعية كويؤيده ما
في القصة فاخذ جبريل بيده فقدمه فصلي بهم ركعتين والظاهر
انها كانت فريضة وايده بعضهم بقوله في بعض طرق القصة
ثم اقيمت الصلاة فافهم وفي رواية فاذن جبريل والأذان
والاقامة يوذنان بانها فريضة ولا يشكل علي هذا ان بدا الاذان
انما هو بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسراء قبل مشروعيته
للصلوات الخمس وعلي كونها فريضة قال بعضهم كانت الصلاة التي
صلاها العشاء وقال بعضهم انها الصبح قال بعض المتأخرين وليسا
بشئ سوا قلنا صلي بهم قبل العروج او بعده لان أول صلاة
صلاها النبي صلي الله عليه وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة
بالاتفاق ومن حمل الاولية علي مكة فعليه الدليل والذي يظهر
والله اعلم انها كانت من النفل المطلق اوكانت من الصلاة المفروضة
قبل ليلة الاسرا وفي فتاوي النووي مايؤيد الثاني وهل قرأ

فيها

فيها بام القرآن بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلاة
لا يقرأ فيها بام القرآن او كان ذلك قبل مشروعية هذا الحكم محل
نظر وقال بعضهم لم يرد في تعيين القراءة في تلك الصلاة فيما وقفت
عليه خبر صحيح او حسن يعتمد وفوق كل ذي علم عليم قال بعضهم
ورؤيته صلى الله عليه وسلم للانبياء وصلاته بهم ببيت المقدس
يحتمل انها كانت للارواح خاصة وانها تشكلت بصور اجسادها
في علم الله تعالى ويؤيده ما في حديث ابي هريرة عند الحاكم والبيهقي
فلقي ارواح الانبياء ويحتمل الاجساد بالارواح ويؤيده حديث
عبد الرحمن بن هاشم عن انس عن البيهقي وبعث الله ادم
فمن دونه من الانبياء وعند البزار والطبراني فنشر لي الانبياء
من سمى الله تعالى ومن لم يسم فصليت بهم واما رؤيته لهم
في السماء فتحمل على رؤية ارواحهم وانها تشكلت بصور اجسادهم
الا عيسى صلى الله عليه وسلم لما صح انه رفع بجسده وكذلك ادريس
ايضا او احضرت اجسادهم لملاقاته صلى الله عليه وسلم تشريفا
له وتكريما وقد انكر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صلاة النبي
صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس تلك الليلة واحتج بانه لو صلى
فيه لكتبت الصلاة عليكم فيه قال البيهقي وابن كثير والمثبت
مقدم على النافي يعني من اثبت الصلاة ببيت المقدس وغيرهم
من الصحابة معهم زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول واما
ما احتج به فيجاب عنه بمنع التلازم بين الصلاة والكتابة
ان كان المراد بقوله كتبت عليكم الفرض وان اراد التشريع فنلتزمه
وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في بيت المقدس فقرنه
بالمسجد الحرام ومسجده في شد الرحال وذكر فضيلة الصلاة فيه
في غير ما حديث فان قيل كيف تصلي الانبياء وهم اموات
وليسوا في دار العمل اجيب بانهم كالشهداء بل افضل منهم

احياء في قبورهم فيصلون ويحجون كما ورد في الحديث الاخر فلا
يستبعد ان يتقربوا الى الله تعالى ما استطاعوا لان البرزخ يجري
عليه حكم الدنيا في استكثارهم فيه من الاعمال وزيادة الاجور
او ان المنقطع عنهم بالموت هو التكليف وقد تحصل الاعمال من
غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى كما جاء في
الحديث ان اهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو
معنى قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وكما ورد انه يقال
للقارئ اقرأ وارقأ وانظر الى سجود النبي صلى الله عليه وسلم
وقت الشفاعة اليس ذلك عبادة وعملا على كل حال لا يمتنع
حصول هذه الاعمال في مدة البرزخ لان الانبياء لم يقبضوا
حتى خيروا بين البقاء في الدنيا وبين الآخرة فاختاروا الآخرة
ولا شك انهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من الاعمال الصالحة فلو
كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب الى
الله تعالى لما اختاروه الوجه السادس عشر في تقديم الآنية
هل كان قبل العروج او بعده وفي عددها فاكثر الروايات
انه كان قبل العروج وفي بعضها انه بعده ففي رواية بعد ذكر رؤية
ابراهيم في السماء السابعة ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاث
آنية مغطاة وفي رواية كان ذلك بعد ان رفعت الى سدرة
المنتهى وفي رواية كان ذلك بعد رؤيته للبيت المعمور
قال ابن كثير وغيره ولعله قدم مرتين لانها ضيافة له صلى
الله عليه وسلم وتبعهم على ذلك الحافظ ابن حجر جمعا بين
الروايات قال ابن كثير وابن حجر واما الاختلاف في عدد
الآنية وما فيها فيحتمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكر
الاخر ومجموعها اربعة آنية فيها اربعة اشياء من الانهار
الاربعة التي تخرج من تحت سدرة المنتهى واذا قلنا بعرض

خرة

في
اصل

الانية

الآتية مرتبت فعائدة عرض الخمر مع اعراضه عنه في المرة الأولى وهو
جبريل له بكرير التصويب والتحذير مما سواه وهل كانت الخمرة من
خمر الجنة او من جنس خمر الدنيا فإن كان الأول فسبب تجنبها سو
ومضاهاتها للخمر المحرمة امر في علم الله اولا ويكون ذلك ابلغ
في الورع وادق وان كان الثاني فاجتنابها واضح لكن كانت
الخمر اذ ذاك مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان
بمكة فوجه تعيينه صلى الله عليه وسلم اللبن دون غيره من
الأشياء المباحة التي قدمت له وعد ذلك صوابا وعد الأخر
خطأ مع انهما سواء في الاباحة ان يكون فعل ذلك تورعا وتعو
بانها ستحرم وانه لما فوض الامر الى اجتهاده صلى الله عليه وسلم
وسداد نظره المعصوم اداه اجتهاده الى تحريم الخمر وتحليل
اللبن فوافق الصواب في علم الله تعالى فلذلك قال له جبريل
اصبت الفطرة اي اخترت اللبن الذي عليه تثبت الخلقة
وبه ينبت اللحم ويشتد العظم او اخترته لانه الحلال الدائم
في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر
وقال النووي المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة
قال ومعناه والله اعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة
قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا
للشاربين سليم العاقبة واما الخمر فانها ام الخبائث وجالبة
لانواع الشر في الحال والمال اهـ وقال القرطبي ويحتمل ان
يكون سبب تسمية اللبن فطرة لانه اول شيء يدخل جوف
المولود ويشق امعاءه والسر في ميل النبي صلى الله عليه
وسلم اليه دون غيره لكونه مالوفا له لولا امر واستفاد
من التعليل المتقدم في سبب تجنبه صلى الله عليه وسلم
الخمر وهو مضاهاتها للخمر المحرم ان من اراد شيئا من الأشربة

الشهوات

كما ان ادارة الخمر وهيئته بالهيئة التي يتعاطاها اهل الخمر من الاجتماعات
والآلات فقد اتي منكرا وحرم ذلك عليه وان كان لا يجد عليه وقد ذكر
اصحابنا ان ادارة كاس الماء على شاربيه تشبيها بشاربي الخمر حرام
فيجب فاعله الوجه السابع عشر ظاهر قوله في القصة ثم اتي بالمعراج
ان العروج كان لا على البراق وفي ذلك خلاف قال الحافظ ابن كثير
انه لما فرغ صلى الله عليه وسلم من امر بيت المقدس نصب
له المعراج وهو السلم فصعد فيه الي السماء ولم يكن الصعود فيه على
البراق كما قد يتوهم بعض الناس بل كان البراق مربوطا على
باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه الى مكة وقال الحافظ السيوطي
رحمه الله انه الصحيح الذي تقرر من الاحاديث الصحيحة انتهى
تنبيه اعلم انه قد ورد ان بين الدرجة والدرجة في الجنة
خمسمائة عام وان الدرجة تهبط كالابل ليصعد عليها ولي
الله تعالى ثم ترتفع به الى مكانها والظاهر كما قاله بعضهم ان درج
المعراج كذلك والله تعالى اعلم واما الحكمة في الاسراء به صلى
الله عليه وسلم الى بيت المقدس ولا قبل العروج الى السماء فقد
تقدم الكلام عليها عند الكلام على الاية انفا الوجه الثامن عشر
قال ابن المنير ذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحر
يسمى المكفوف تكون بحار الدنيا بالنسبة اليه كالقطرة في البحر
المحيط فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه
وسلم تلك الليلة حتى جاوزه وهو اعظم من انفلاق البحر لموسى
عليه الصلاة والسلام الوجه التاسع عشر في قدر ما بين السماء
والارض روى الامام احمد وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما
عن العباس رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اتدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله
اعلم فقال بينهما خمسمائة عام وبين كل سماء الى سماء خمسمائة

سنة

سنة وفوق السماء السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش من اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم الله تعالى فوق ذلك اي سلطانه وملكه وعظمته وروى الطبراني في الاوسط وابن راهويه وغيرهما من الربيع بن انس قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء زاد ابن ابي حاتم وما فوق ذلك صحارى من نور ولا يعلم ما فوق ذلك الا الله سبحانه وتعالى وملك موكل بالحجب يقال له ميطاطروش وروى ابو الشيخ وابن ابي حاتم عن كعب قال السماء الدنيا اشد بياضا من اللبن واخضرت من خضرة جبل ق وقوله في الحديث المتقدم من موج مكفوف الموج ما ارتفع من فورات الماء والمكفوف الممنوع الوجه العشرون افتتاح جبريل ابواب السماء الاشبه كما قاله الحافظ بن حجر انه كان بقرع لان صوته معروف ويؤيده كما قال بعضهم في بعض الروايات فقرع الباب وقال ابن دحية في استفتاح جبريل ابواب السماء دليل على انه صادف ابوابها مغلقة وانما لم تهيأ للنبي صلى الله عليه وسلم بالفتح قبل مجيئه وان كان ابلغ في الاكرام لانه لو راها مفتحة لظن انها لا تزال كذلك ففعل ليعلم ان ذلك فعل من اجله تشريفا له ولان الله تعالى اراد ان يطلعه على كونه معروفا عند اهل السموات ولذلك لما سالوا جبريل عمن معه فقال محمد فقالوا او بعث النبي ولم يقولوا من محمد مثلا ولما قيل لامية الوحي بعد القرع من هذا قال جبريل فسمى نفسه لانه كان معروفا عندهم ولم يرد ان احدا من الملائكة يسمى جبريل غيره ولم يقل انا لئلا يلتبس بغيره

ولان فيه اشعارا بالعظمة وفي الكلام ما السائل اول من قال انا ابليس
فشقي حيث قال انا خير منه وثانيها فرعون فلقي حيث قال
انا ربكم الاعلى ولان انا مبهمة لا فتقار الضمير الى العود فهي
فيه كما فيه في البيان والمستاذن محجوب عن المستاذن اليه
غير مشاهد عنده فكانه احاله على جهالة وعلى هذا فينبغي للمستاذن
على تقديرها اذا قيل له من انت لا يقول انا بل يقول فلان لان
النبي صلى الله عليه وسلم انكر على الذي استاذن عليه فقال
من هذا فجعل يقول انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا انا انكارا
لذلك ولما سمى جبريل نفسه ثم فتحوا ابواب السما ولم يتوقفوا
للمراجعة في امره فانه مشهور عندهم نزوله وصعوده ولذلك
قدم نفسه لانه الرسول لاحضاره صلى الله عليه وسلم الوجه
الحادي والعشرون قول الخازن لجبريل من معك يشعر انهم
احسوا معه برفيق والا لكان السوال امعك احد وذلك
الاحساس اما بمشاهدة لكون السما شفافة واما لامر معنوي
لزيادة انوار وفي قول جبريل حيث سئل عمن معه فقال
محمد دليل على ان الاسم ارفع من الكنية لانه اخبر باسمه ولم
يخبر بكنيته وهو صلى الله عليه وسلم مشهور في العالمين
العلوي والسفلي فلو كانت الكنية ارفع من الاسم لاخبر
بكنيته وقول الخازن وقد بعث اليه اراد الاستفهام
فحذف الهمزة للعلم بها اي اوقد بعث اليه قال العلماء ليس
هذا استفهاما عن اصل البعث الذي هو الرسالة لانه كان
مشهورا في الملكوت الاعلى بل البعث للمعراج وقيل بل سالوا
تعجبا من نعمة الله تعالى عليه بذلك واستبشارا وقد علموا
ان بشرا لا يرقى هذا الترقي الا باذن الله تعالى وان جبريل
لا يصعد بمن لا يرسل اليه وقال ابن ابي جمرة استفهام

الملائكة

الملائكة بقولهم وقد ارسل اليه فيه دليل على ان اهل العالم العلوي
يعرفون رسالته ومكانته لانهم سالوا من وقتها هل آن
ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء فكلامهم بهذه
الصفة ادل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلال مكانته وتحقيق
رسالته لان هذا اجل ما يكون من حسن الخطاب والترفيع
على المرفوع من اجل التنبيه عادة العرب وقد قال بعض العلماء
في معنى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انه رأى صورة
ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة وانما اتى
الخازن بصورة الغيبة في قوله مرحبا به ولم يخاطبه بقوله
مرحبا بك لان ذلك كان قبل ان يفتح الباب وقبل ان يصدر
من النبي صلى الله عليه وسلم كلام معه او خطاب والخطاب والكلام
انما كان مع جبريل بالسؤال والجواب فاقتضى حكم الغيبة با
من الجانبين ويجوز ان يكون الخازن انما جاء بغير صيغة
الخطاب تعظيما له لان هذه الغيبة منه كانت احكم من كاف
الخطاب وفي قول الخازن مرحبا به الى آخره دليل على
ان الحاشية اذا فهموا من سيدهم عزة واكراما لوافد ان
يبشروه بذلك وان لم يأذن لهم فيه ولا يكون في ذلك
افشاء للسر بل هو من تعجيل البشرى **الوجه الثاني والعشرون**
في الكلام على لقيه آدم صلى الله عليه وسلم في السماء الدنيا
وما وقع له معه وما رآه عنده ففي سلامه على آدم دليل
على ان السنة للقادم ان يبدأ بالسلام على المقيم والمار على
القاعد لانه صلى الله عليه وسلم كان مارا على آدم وفي رد
آدم السلام عليه وقوله مرحبا دليل على انه لا يشرع في رد السلام
غير الصيغة المعروفة لانه لم يقل له مرحبا الا بعد رد السلام
عليه على ما جاء في القصة فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالابن

في القصة انه سأل عنه بعد ان قال له ادم مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح اشارة الى افتخار النبي صلى الله عليه
وسلم وفي قوله له الابن الصالح والنبي الصالح ثنا جميل للنبي
صلى الله عليه وسلم ووصفه بالصالح مكررا مع النبوة والبنوة
اي صالح في المعنيين جميعا وفيه تنويه بفضيلة الصلاح
ولهذا وصف به النبي صلى الله عليه وسلم واقتصر الانبياء
صلوات الله عليهم وسلامه الذين اجتمع بهم في السموات
ورآهم في السموات تلك الليلة على وصفه بالصالح وتوارد
عليه وكرره كل منهم عند وصفه بالنبوة او الاخوة
والنبوة لان الصلاح يشمل خصال الخير والصالح هو الذي
يقوم بما يلزمه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد فمن
ثم كانت كلمة جامعة شاملة لسائر الخصال المحمودة ولذا لم
يقل له احد مرحبا بالنبي الصالح ولا بالنبي الامين قال بعضهم
وصلاح الانبياء خاص لا يتناول عموم الصالحين واحتج من
ذلك بانه قد تمنى بعض الانبياء ان يلحق بالصالحين
ولا يتمنى الاعلى الا ان يلحق بالادنى ولا خلاف ان النبوة اعلى
من صلاح الصالحين من الامم فهذا يحقق ان الصلاح
المضاف الانبياء غير الصلاح المضاف الى الامم وصلاح
الانبياء صلاح كامل لانهم نزع لبهم كل فساد فانهم كما العرا
ومن دونهم الامثل فالامثل كل واحد يستحق اسم الصلاح
على قدر ما يزال به او منه من الفساد وظاهر قوله في ادم تعرض
عليه ارواح ذريته الى اخره ان ارواح بني ادم من اهل
الجنة والنار في السماء قال القاضي وهو مشكل فقد جاء
ان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة وان ارواح الكفار
في سجين فكيف تكون مجتمعة في [illegible] السماء واجاب

بانه

بانه يحتمل انها تعرض على ادم اوقاتا فصادفت وقت عرضها
مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على كونهم في الجنة او النار
انما هو في اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا واعترض على الجواب بان ارواح الكفار
لا تفتح لهم ابواب السماء هو نص القران واجيب عنه بما
ابداه القاضي احتمالا بان الجنة كانت في جهة يمين ادم والنار
في جهة شماله وكان يكشف له عنهما قال الحافظ بن حجر ويحتمل
ان النسم المرئية هي التي لم تدخل الاجساد بعد وهي مخلوقة
قبل الاجساد ومستقرها عن يمين ادم وشماله وقد اعلم
بما سيصيرون اليه فلذلك كان يستبشر اذا نظر الى من
عن يمينه ويحزن اذا نظر الى من عن شماله بخلاف التي في
في الاجساد فليست مرادة قطعا وبخلاف التي نقلت من الا
جساد الى مستقرها من الجنة او النار فليست مرادة ايضا
فيما يظهر وبهذا يندفع الايراد ويعرف ان قوله نسم بنيه
عام مخصوص او اريد به الخصوص قال وظهر احتمال
اخر وهو ان يكون المراد بها من خرجت من اجسادها حين
خروجها لانها غير مستقرة ولا يلزم من رؤية ادم لها وهو
في السماء الدنيا ان تفتح لهم ابواب السماء ولا تلجها لانها تعرض
عليه ويكشف له عنها من بعد واما رؤيته لاكل النبي ومن
ذكر معهم فيحتمل انها رؤية بحال ارواحهم في البرزخ بعد
الموت وفي ذلك تصحيح لمن قال الارواح اجساد لطيفة قابلة
للتنعيم والعذاب ويحتمل ان يكون متشكلة لهن حال التشهي في
الاخرة الوجه الثالث والعشرون في الكلام على رؤية الانبياء
المذكورين في السموات وفي حكمة اختصاص كل نبي في السماء
التي لقيه فيها وفي حكمة رؤيته لهولاء الانبياء دون غيرهم

من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد اختلفت
الروايات في منازل الانبياء في السموات ففي رواية انس عن
ابي ذر قال فذكر انه وجد في السموات ادم وادريس وموسى وعيسى
وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم وذكر ان ابراهيم في السابعة دسة
وفي سياق الزهري في رواية عن انس عن ابي ذر انه لم
يثبت اسماهم وفي سياق شريك فيه انه لم يضبط منازلهم
ووقع في رواية ان ادريس في الثالثة وهارون في الرابعة
ورواية قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة عند البخاري
فيها ضبط منازلهم فذكر اسم كل نبي والسماء التي هو فيها كما هو
مركز ومذكور في سياق القصة اننا وكما سنتكلم عليه في حكمة
ذلك ولا شك ان في رواية من ضبط اولى لا سيما وقد وافق قتادة
في روايته المذكورة ثابت البناني عن انس عند مسلم ووافقهما
يزيد بن ابي مالك عن انس الا انه خالف في ادريس وهارون
فقال هرون في الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم ابو سعيد
الا ان في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة والرواية
الاولى المذكورة اثبت وقد اختلف المتكلمون على حديث الاسراء
في الحكمة في اختصاص كل نبي واحد من الانبياء بالسماء التي راه فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لا حكمة واما الانبياء المذكورون روف
لما علموا بقدومه ابتدروا الى لقائه ابتدار اهل الغايب للغايب
القادم فمنهم من اسرع وسبق ومنهم من ابطا ولحق ومنهم
من فاته وهذا قاله ابن بطال ورده السهيلي رحمه الله
فاصاب وقيل بل لذلك حكمة اي حكمة وهو التنبيه على
الحالة الخاصة بهولاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
وتمثيل بما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم من قومه من نظير
ما وقع لهم واتفق مما قصه الله تعالى عنهم في كتابه والنبي صلى الله

عليه

بيان حم

عليه وسلم كان يحب الفال الحسن ويستدل به علي حسن العاقبة
والفال في الرؤية نظير الرؤية في المنام فيكون تعبير الفال ماند
عليه بقطة كتعبير الرؤية واهل التعبير يقولون من راي نبيا
من الانبياء الي معينا بعينه في المنام فان رؤياه تؤذن بما
يشبه من حال ذلك النبي من شدة او رخاء او غير ذلك من
الامور التي اخبر بها عن الانبياء في القران او الحديث وهذا
قاله السهيلي وتبعه عليه غيره فحكمة رؤيته لادم في
السماء الدنيا لانه اول الانبياء واول الاباء وهو الاصل فكان
الاول في الاولي ولاجل تاسيس النبوة بالابوة في اول انتقاله
الي العالم العلوي ووقع التنبيه بما سيقع له صلي الله عليه وسلم
من نظير ما وقع لادم فانه كان في امن الله تعالي وجواره
في الجنة فاخرجه عدوه ابليس منها وهذه القصة تشبهها
الحالة الاولي من احوال النبي صلي الله عليه وسلم وهي هجرته
الي المدينة وخروجه من حرم الله وجوار بيته وكان اعداوه
سببا لخروجه لتماديهم علي ايذائه وتواطيهم علي ذلك وهمهم
بقتله فكربه ذلك وغمه وشق عليه لفراق الفه ووطنه كما
وقع لادم عند خروجه من الجنة من الغم والكرب والبكاء علي
فراقها فقد حكى ان بعض السادة راي ادم صلي الله عليه وسلم
في المنام فقال له انت ابو البشر وتبكي علي مفارقة دار هي
الجنة فانشده

شغفت بحار لا بدار انتهاها علي الجار ابكي لا علي فرقة الدار

والحاصل ان الجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة
وكراهة فراق ما الفه من الوطن ثم كان لكل ان يرجع الي وطنه
الذي خرج منه وحكمة رؤيته لعيسي ويحيي في السماء
الثانية لانهما الممتحنان باليهود اما عيسي فكذبته اليهود

وآذته وهموا بقتله فرفعه الله اليه واما يحيى فقتلوه ففيه الاشارة
لما وقع له صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله من المدينة فصار والى
حالة ثانية من الامتحانات وكانت محنته فيها باليهود وآذوه وعادوه
وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله تعالى كما نجى عيسى
منهم ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت
ابهره كما قال عند الموت وايضا فعيسى كانت حالته ومقامه
معالجة بني اسرائيل والصبر على عداوة اليهود وحيلهم ومكرهم
وطلب الانتصار عليهم بقوله من انصاري الى الله اي مع الله
قال الحواريون نحن انصار الله فكانت حالته صلى الله عليه
وسلم في السنة الثانية من الهجرة نظير ذلك طلب الانصار
للخروج الى بدر العظمى فاجابوه ونصروه وحكمة رؤيته
ليوسف صلى الله عليه وسلم في السماء الثالثة الاشارة الى حالة
ثالثة تشبه حال يوسف وما جرى له مع اخوته الذين
اخرجوه من بين اظهرهم ثم ظفر بهم فصفح عنهم وقال لا
تثريب عليكم اليوم وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم جرى
له مع قريش نصبوا له الحرب وارادوا اهلاكه وكانوا سببا
في اخراجه من بين اظهرهم ثم ظفر بهم في غزوة الفتح فصفح
عنهم وقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
وايضا مناسبة لقيه في السماء الثالثة ان الثالثة من سني
الهجرة وقعت فيها غزوة احد ومما اتفق فيها من المنا سبة
شيوع قتل النبي صلى الله عليه وسلم فناسب ما حصل للمسلمين
من الاسف على فقد نبيهم ما حصل ليعقوب من الاسف
لاعتقاده انه فقد الى ان وجد ريحه بعد تطاول الامد ومن
المناسبة ايضا بين القصتين ان يوسف عليه السلام
كيد واوذي في عماية الجب حتى استنقذه الله على يد من شاء

ورسول

ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقع له في غزوة احد ان
اكبت الحجارة على وجهه من قريش حتى سقط لجنبه في حفرة
كان ابو عامر الفاسق قد حفرها لمكيدة المسلمين فاخذ علي
كرم الله وجهه بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتضنه
طلحة حتى قام وفي رواية مسلم انه صلى الله عليه وسلم
لما اخبر برؤيته ليوسف صلى الله عليه وسلم في الثالثة قال فاذا
هو قد اعطي شطر الحسن وفي رواية البيهقي وغيره فاذا انا
برجل احسن ما خلق الله تعالى قد فضل الناس بالحسن
كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب فلو ان قيل هذا يدل على
ان يوسف كان احسن الناس من جميع الناس اجيب
بان الترمذي روى من حديث انس ما بعث الله نبيا الا
حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم صوتا واحسنهم
وجها فيحمل على ما في حديث المعراج من قوله اعطي شطر
الحسن واحسن ما خلق الله الى اخره على غير نبينا عليه
الصلاة والسلام وحمل بعضهم قوله اعطي شطر الحسن
على ان المراد ان يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا
صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لان حقيقة الحسن الكامل
كامنة فيه لانه الذي تم معناه دون غيره فهو غير منقسم
بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما ولله در الابو صيري
حيث اشار الى ذلك بقوله في البردة
فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم
وقد قال بعض العلماء ان من تمام الايمان به صلى الله عليه
وسلم الايمان بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف
على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق ادمي مثله ليكون

قال م

طس

ما لنا هذه من خلقة بدنه آيات على ما يتضمن من عظيم خلق
نفسه الكريمة وما يتضمن من عظيم أخلاق نفسه آيات
على ما تحقق له من سر قلبه المقدس وقد حكى القرطبي في
كتاب الصلاة عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى
الله عليه وسلم لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت أعيننا
رؤيته صلى الله عليه وسلم ولقد أحسن الأبوصيري
حيث قال

أعيى الورى فهم معناه فليس يرى ... للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد ... صغيرة وتكل الطرف من أمم

وهذا مثله أيضا

إنما مثلوا صفاتك للناس ... كما مثل النجوم الماء

والتشبيهات الواردة في حقه صلى الله عليه وسلم كما هنا
في قوله كالشمس تظهر الخ وقوله كما مثل النجوم الماء ونحو
ذلك إنما هي على سبيل التقريب والتمثيل وإلا فذاته
أعلى وأغلى وحكمة رؤيته لإدريس عليه السلام
في السماء الرابعة وهو المكان الذي رفعه الله إليه وكان
مكانا عليا للإيذان بحالة رابعة وهي علو شأنه ومنزلته
صلى الله عليه وسلم وللإشارة إلى إحرازه صلى الله عليه
وسلم لخصائصه فإن المنقول أن إدريس أول من كتب
بالقلم وانتشر منه بعده في أهل الدنيا وكتب إلى
الملوك يدعوهم إلى طاعته وخافته الملوك حتى
قال أبو سفيان بن حرب وهو عند ملك الروم
هرقل حيث جاء كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر أمر
اشتد أمر ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه ملوك بني

الأصفر

الاصفهاني الملوك المكتوب اليهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك
عمان ومنهم من هادنه واهدى اليه وهاداه كهرقل والمقوقس
ومنهم من تعصى عليه فاظفره الله به فهذا مقام على وحمل
بالقلم نحو ما اوتي ادريس صلى الله عليه وسلم وقوله في ادريس
قد رفعه الله مكانا عليا مع انه رأى موسى وابراهيم في مكان
اعلى من مكان ادريس فذلك والله اعلم لما ذكر عن كعب
الاحبار ان ادريس خص من بين جميع الانبيا بانه رفع قبل
وفاته الى السماء الرابعة رفعه ملك كان صديقا له وهو
الملك الموكل بالشمس وكان ادريس سال ان يريه الجنة فاذن
الله له في ذلك فلما كان في الرابعة راه هناك ملك الموت فعجب
وقال امرت ان اقبض روح ادريس في السماء الرابعة فقبضه
هناك فرفعه حيا الى ذلك المقام خاص به دون الانبياء
قاله السهيلي وقال البدر العيني في شرح البخاري فان
قلت قال بعضهم ان ادريس في الجنة يدل عليه قوله تعالى
ورفعناه مكانا عليا قيل المكان العلي هو الجنة قلت
سمعت بعض مشايخي الثقات يقول ان ادريس لما اخبر
بخروج النبي صلى الله عليه وسلم استاذن ربه ان يستقبله
فاذن له فاستقبله ولقيه في السماء الرابعة اهـ فان كان
ادريس اختص بانه ادخل الجنة فقد شاركه النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وزاد عليه بانه دخلها حيا
وادريس انما دخلها بعد ان مات بل زاد عليه صلى الله عليه
وسلم في الارتفاع الى اعلا الجنان وارفع الدرجات وهذا
غاية البيان فيما نحن بصدده من المناسبة وقول ادريس
مرحبا بالاخ الصالح استشكل بانه اب من اباء النبي
صلى الله عليه وسلم وانه جد اعلى لنوح فكيف خاطبه

بالاخ ولم تخاطبه بلا بن كما قال ادم وابراهيم عليهما الصلاة و
واجيب بأنه قد قيل عن ادريس انه الياس وانه ليس بجد
لنوح ولا هو من عمود النسب وقال النووي ليس في ذلك ما يمنع
كون ادريس ابا لنبينا صلى الله عليه وسلم فان قوله الاخ الصا
قاله تلطفا وتأدبا وهو اخا وان كان ابنا والانبيا اخوة والمؤ
اخوة وقال ابن المنير اكثر الطرق على انه خاطبه بالاخ وقال لي ابن
ابي الفضل صحت لي طريق انه خاطبه فيها بالابن الصالح قال
بعضهم وفي صحة ذلك نظر وحكمة رؤيته لهرون صلى الله عليه
وسلم في السماء الخامسة الايذان باحرازه خصائصه والزيادة
عليه لمن خصائصه هرون عليه السلام فصاحة اللسان وقد وصفه
موسى عليه السلام بذلك فقال هو افصح مني لسانا الاية وقد حاز نبينا
صلى الله عليه وسلم المرتبة العليا من الفصاحة ولا خفاء بان افصح
اللغات لغات العرب وغاية لسان هارون وفصاحته في العبرانية
والعربية افصح منها ثم هو صلى الله عليه وسلم افصح من نطق بالضاد
من بين اهل اللغة العربية ولان هرون كان محببا في قومه فيؤذن
بحب قريش وجميع العرب له صلى الله عليه وسلم وبحصول حالة
له تشبه حالة حصلت لهرون عليه السلام مع بني اسرائيل
مما ناله منهم من الاذى ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم وقصر
التوبة فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المنحطة منه
وذلك ان هرون عندما تركه موسى في بني اسرائيل وذهب لوعد
المناجاة تفرقوا على هرون وكثروا عليه وداد واحول قتله
ونقضوا العهد واخلفوا الموعد واستضعفوا اجانبه كما حكى
الله ذلك منهم وكانت الجناية العظمى التي صدرت منهم عبادة
العجل فلم يقبل الله منهم التوبة الا بالقتل فقتل منهم في ساعة
واحدة مقتلة سبعون الف كان نظير ذلك في حقه صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم ما لقيه في السنة الخامسة من الهجرة من يهود قريظة والنضير
وقينقاع فلم ثم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب وجمعوها واظهروا
عداوته صلى الله عليه وسلم واراد واقتله وذهب اليهم قبل الواقعة
بزمن يسير يستعينهم في دية قتيلين فاظهروا الكرامة واجلسوه
تحت جدار ثم تواعدوا ان يلقوا عليه رحى فنزل جبريل عليه
السلام فاخبره بمكرهم الذي هموا به فمن ثم عزم على حربهم
وقتلهم وفعل الله تعالى ذلك وقتل قريظة بتحكيمهم سعد بن
معاذ فسلوا اسر قتله وحاق المكر السيء باهله ونظير استضعاف ف
اليهود لهرون استضعافهم المسلمين في غزوة الخندق وحكمة
رؤيته ولقيه لموسى صلى الله عليه وسلم في السماء السادسة الايذان
بحصول حالة له صلى الله عليه وسلم تشبه حالة موسى مما وقع له
من معالجة قومه وقد اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لقد
اوذي موسى باكثر من هذا فصبر والاشارة الى مناسبة اخص
تتعلق برؤيته له في السماء السادسة وذلك ان موسى اراد ان
يقيم الشريعة في الارض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا
عنه وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها
فان يخرجوا منها فانا داخلون وفي الاخرى سجلوا بالقعود
فقالوا انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فغضب عليهم وحال بينهم
وبينها واوقعهم في التيه وال امره الى قهر الجبابرة واخراجهم
من ارضهم وكذلك اراد النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السنة
ان يدخل بمن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة ابراهيم فصدوه
فلم يدخلها في هذا العام ثم دخلها في العام القابل وال امره صلى
الله عليه وسلم الى ان فتح مكة وقهر المتجبرين والمستهزئين
من قريش فكان لقاؤه لموسى تنبيها على التاكيد به وحصول
حال له تشابه حالة موسى صلى الله عليه وسلم وما وقع من المقصد

من ان موسى لما جاوزه نبينا صلى الله عليه وسلم بكى فقيل له ما
يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من امته
اكثر ممن يدخل الجنة من امتي فاما البكاء من موسى فقال العلما
لم يكن حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع عن
احاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى وعشقه بل كان
اسفا على ما فات امته من بني اسرائل من حظهم من الله عز
وجل حيث قل الايمان فيهم وندر القبول وفشا الطغيان والنكول
واسفا ايضا على ما فات موسى مما فاز به محمد صلى الله عليه وسلم
من كثرة الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من
امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة
لتنقيص اجره لان لكل نبي مثل اجر من تبعه وكان من تبعه من
العدد مثله دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وسلم من طول مدتهم
بالنسبة الى مدة هذه الامة والبكاء على فوات الحظوظ الاخروية
سنة متبعة وعلى مثل هذا يناح ويبكى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
والظاهر ان القائل لموسى ما يبكيك هو الله سبحانه وتعالى ويدل
لذلك قوله في الجواب كما في بعض الروايات يارب قال ابن
ابي جمرة واما قول موسى صلى الله عليه وسلم غلام فليس
ذلك على سبيل النقاصة والتنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة
الله تعالى وعظيم كرمه اذا عطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعط
احد قبله ممن هو اسن منه قال الخطابي العرب تسمي الرجل
المستجمع السن غلاما ما دامت فيه بقية من القوة وقال
ابن ابي جمرة العرب انما يطلقون على المرء غلاما اذا كان
سيدا فيهم فلا اجل ما في هذا اللفظ من الاختصاص والاشعار بالاه
فضلية دون غيره من الالفاظ ذكره موسى ولم يذكر غيره تعظيما
للنبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ويظهر لي ان

موسى

موسى اشار الى ما انعم الله به على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول سن الشيخوخة ولم يدخل في بدنه هرم ولا اعتري قوته نقص حتى ان الناس لما راوه مرة فا ابا بكر عند قدومه المدينة اطلقوا عليه اسم الشاب وعلى ابي بكر اسم الشيخ مع كونه في العمر اسن من ابي بكر وفي امساك موسى عن البكاء وعن ما وقع منه من الكلام حتى فارقه النبي صلى الله عليه وسلم مراعاة لجانب نبينا صلى الله عليه وسلم وبشارة له وادخال السرور عليه ويشهد لذلك بكاؤه قبل ان يبعد النبي صلى الله عليه وسلم عنه لانه لو كان البكاء مختصا بموسى لم يكن ليبكي حتى يبعد عنه بحيث لا يسمعه فلما كان المراد به ما ينشأ عنه من السرور والبشارة بكى والنبي صلى الله عليه وسلم منه بحيث يسمع والبشارة هي قول موسى يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخل من امتي ونحو ذلك وقد وقع من موسى العناية بهذه الامة في امر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة الى ذلك في حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار كان موسى اشدهم علي حين مررت به وخيرهم حين رجعت اليه وفي حديث ابي سعيد فاقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم الحديث وحكمة رؤيته ولقيه لابراهيم صلى الله عليه وسلم في السماء السابعة لانه الاب الاخير فناسب ان يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيه انس لتوجهه بعده الى عالم اخر وايضا فمنزلة الخليل تقتضي ارفع المنازل ومنزلة الحبيب ارفع من منزلته فلذلك ارتفع النبي صلى الله عليه وسلم عن منزلة ابراهيم الى قاب قوسين او ادنى وللقيه لابراهيم في السابعة مناسبة اخرى لخصوص ذلك وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرة القضاء في السنة السابعة

من الهجرة ودخل مكة هو وأصحابه ملبيين معتمرين محييا لسنة
ابرهيم صلى الله عليهما وسلم ومعيدا لموسمه الذي كانت الجاهلية
امانت ذكره وبدلت أموره وفي بعض الطرق انه راى ابراهيم مسندا
ظهره الى البيت المعمور في السماء السابعة فكان ذلك والله اعلم
اشارة الى انه يطوف بالكعبة في السنة السابعة وهي أول دخلة
دخلها مكة بعد الهجرة والكعبة في الارض قبالة البيت المعمور
وفي قوله صلى الله عليه وسلم في وصف البيت المعمور فاذا هو يدخله
كل يوم سبعون الفا من الملائكة فلا يرجعون اليه الى اخر الدهر
اشارة الى انه اذا دخل البيت الحرام لا يرجع اليه لانه لم يدخله
بعد الهجرة الا يوم الفتح ثم لم يعاوده في حجة الوداع فان قيل
لم لم يرى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في السماء نوحا عليه السلام
وهو من اولي العزم قلت سمعت من بعض مشايخي رحمه
الله ورحمهم يقول انما لم ير نوحا وكون لانها الليلة رحمة فناسب
ان لا يرى فيها من استعمل نقمة قومه بالعذاب وفي سؤاله
صلى الله عليه وسلم من جبريل عن كل واحد من الانبياء الذين رآهم
في السموات بقوله من هذا يا جبريل فيقول هذا ابوك ادم
الى اخره اشكال وهو انه قال كيف ام الانبياء في بيت المقدس
وسلم عليهم وعرفهم ثم يسأل عنهم تلك الليلة حين رآهم في
السموات من جبريل فانه لعل رآهم وعرفهم قبل ذلك لما احتاج
الى سؤال جبريل عليهم ويجاب بانه يحتمل انه رآهم
ببيت المقدس على حالة من تصور الارواح بصورة الاجساد
او من حضور الاجساد بالارواح ثم لما رآهم في السموات رآهم
على حالة غير التي رآهم عليها في الارض فلذلك سال عنهم او انه
رآهم في الموضعين على حالة واحدة ولكن لما شاهدهم تلك الساعة
في الارض ثم رآهم في منازلهم في السماء سال عنهم تعظيما للقدرة

الالهية

الالهية واستشباتا لاتجبا فلونه عالم ان الله الذي اصعده الى
هذا المكان في لحظة قادر على نقلهم الى السموات في اسرع من طرفة
عين سبحانه وتعالى الوجه الرابع والعشرون في الكلام على
البيت المعمور قال ابو عبيدة ومعنى المعمور الكثير الغاشية
ويسمى ايضا الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء واخره
مهملة وهذا هو المشهور وما قيل انه بالصاد المهملة فغلط
وبالضراح تسميه الملائكة وسمي به لانه ضرح عن الارض اي
بعد وقال مجاهد البيت المعمور هو الضريح يعني بالمعجمة وهو
في اللغة البعيد واكثر الروايات انه في السماء السابعة وروى
ابن جرير وغيره والحاكم وصححه عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال البيت المعمور في السماء السابعة يدخل كل يوم
سبعون الف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة
وروى اسحاق بن راهويه في مسنده عن علي رضي
الله عنه انه سئل عن البيت المعمور قال بيت في السماء السابعة
حيال البيت حرمته كحرمة هذا في الارض يدخله كل يوم
سبعون الف ملك لا يعودون اليه واخرجه الطبراني من
حديث انس مرفوعا واستدل بهذين الحديثين وغيرهما
على ان الملائكة اكثر من المخلوقات لانه لا يعرف من جميع العوالم
من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون الفا غير ما ثبت في
ذلك واخرج ابو الشيخ من طريق الليث قال حدثني خالد بن
سعد قال بلغني ان اسرافيل موذن اهل السموات يسمع تاذينه
من في السموات السبع ومن في الارض الا الجن والانس ثم
يتقدم عظيم الملائكة فيصلي بهم قال وبلغنا ان ميكائيل يؤم
الملائكة بالبيت المعمور فائدة نقل الحافظ البرهان الحلبي
في نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس ان السلطان الظاهر

برقوقه سال عن البيت المعمور من اي شيء هو قال فأجاب بعض
الحاضرين بانه من عقيق ونقله عن بعض التفاسير اهـ الوجه
الخامس والعشرون في الكلام على سدرة المنتهى والسدرة شجر
النبق واحده سدرة وقيل لها المنتهى لانها ينتهي اليها ما
يهبط من فوق فيقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الارض
كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود وقيل غير ذلك قال ابن
دحية اختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاث اوصاف ظل
مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذي
يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية
والرائحة بمنزلة القول وقد وقع في حديث ابن مسعود عند مسلم
ان السدرة في السماء السادسة وظاهر حديث انس انها في السابعة
قال القرطبي وهو تعارض لا شك فيه وحديث انس قول الاكثر
وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي
مرسل وكل ملك مقرب ويترجح ايضا بانه مرفوع وحديث
ابن مسعود موقوف قال الحافظ ابن حجر كذا قال يعني القرطبي
ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض ولا يعارض قوله انها في
السادسة ما دلت عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان
دخل في السماء السابعة لانه يحمل على ان اصلها في السماء السادسة
واغصانها وفروعها في السماء السابعة وليس في السادسة منها الا
اصل ساقها قال ابن ابي جمرة والاظهر ان شجرة المنتهى منغرسة
بالارض بدليل قوله ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ
وما اشبهه الا على ما ابهم والباطن لا بد ان يكون سريانه تحت
شيء وحتى يطلق عليه اسم الباطن وقال القاضي عياض
رحمه الله تعالى دل الحديث على ان اصل شجرة المنتهى
في الارض لكونه قال ان النيل والفرات يخرجان من اصلها

وهما

وهما بالمشاهدة تخرجان من الارض فيلزم منه ان يكون اصل
السدرة في الارض وتعقبه النووي بان المراد بكونهما تخرجان
من اصلها غير خروجهما بالنبع من الارض والحاصل ان اصلهما من
الجنة وهما تخرجان اولا من اصل السدرة ثم يسيران الى ان
يستقرا في الارض ثم ينبعان وما وقع في القصة من قوله واذا
في اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران وقول
جبريل لما سئل عنها اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات قال ابن ابي جمرة في قوله جبريل هذا دليل
على ان الفرات والنيل ليسا من الجنة وسدرة المنتهى ليست في
الجنة حتى يقال انهما تخرجان منها بعد نبعهما من السدرة وهذا
معارض لما رواه مسلم عن ابي هريرة مرفوعا سيحان وجيحان
والفرات والنيل كل من انهار الجنة والجمع بينهما والله اعلم
ان الفرات والنيل منبعهما من السدرة واذا نزلا الى الارض
يسلكان اولا على الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الا
رض او وفيه نظر لان ظاهر قوله يسلكان اولا على الجنة
فيدخلانها انهما كانا من انهار الجنة باعتبار المرور والسلوك
عليها لا لكونهما ايمانا فيها وظاهر الحديث في قول السلف
تخالف ذلك فقد اخرج الحارث في مسنده والبيهقي في الشعب
عن كعب قال نهر النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر
اللبن ونهر الفرات نهر الخمر ونهر سيحان نهر الماء وقد استدل
على فضيلة النيل والفرات بكون منبعهما من الجنة وانهما ينبعان
من اصل سدرة المنتهى بخلاف غيرهما وان كانا من انهار الجنة
كسيحان وجيحان فلا ينبعان من اصل السدرة فامتاز النيل
والفرات عليهما بذلك فان قيل قد وردت الاخبار بان
من شرب من ماء الجنة لا يموت ولا يفنى وانه ليس له فضلة

ظاهران

خرج على ما يعهد في دار الدنيا وانما هو وجه رشحات مسك على البدن
واما النيل وما ذكر معه من المياه التي وردانها من انهار الجنة ليس
فيها هذه الاشياء المذكورة اجيب عن ذلك بان الله تعالى
جعل في ماء الجنة هذه الخاصة العظيمة ثم لما شاءت الحكمة الالهية
بنزوله الى هذه الدار نزعت منه تلك الخصوصية وبقي جوهره
عماله وكل الخواص مثله وفي هذا المعنى ان شاء الله تعالى ابقى كذا لمنا
سبة وان شاء سلبها مع بقاء جوهرها ليس لذوات الخواص تأثير
بل الخاصية خلقة والجوهر خلقة وانما القدرة هي المؤثرة في كلها
قال ابن ابي جمرة واما النهران الباطنان في الجنة فقال مقاتل
هما السلسبيل والكوثر واخرج ابو نعيم والضياء عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تظنون ان لانهار
الجنة اخدود في الارض لا والله انها لسائحة على وجه الارض
اهـ والاخدود شق في الارض مستطيل وقوله واذا نبقها
مثل قلال هجر فنبقها بفتح النون وكسر الموحدة وهذا هو الذي
ثبت في الرواية وان جاز سكون الموحدة والنبق معروف
وهو ثمرة السدر والقلال بكسر القاف جمع قلة بضمها وهو
الجرار الواحدة تسع قربتين او اكثر وهجر بفتح الهاء والجيم بلدة
بقرب المدينة الشريفة يريد ان ثمر السدرة في الكبر مثل القلال
وكانت معروفة عند المخاطب وقوله واذا ورقها مثل اذان
الفيلة بكسر الفاء وفتح التحتية بعدها لام جمع فيل ولا منافاة
بين ذلك وبين قوله تكاد الورقة تغطي هذه الامة لان
المراد التشبيه في الشكل خاصة لا في الكبر وقوله في السدرة
يغشاها فراش وفي رواية جراد من ذهب هو المراد بالفراش
قال البيضاوي ذكر الفراش والجراد وقع على سبيل التمثيل لان
من شأن الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه جعلها من الذهب

نحف

نصف لونها واضافتها في نفسها وقال الحافظ ابن حجر ان تكون
من الالوان حقيقة ويخلق الله فيها الطيران والقدرة صالحة
لذلك اهـ تتمة عد بعضهم رفعه صلى الله عليه وسلم الى سدرة
المنتهى معراجا ثانيا الى السموات السبع وسئل عن حكمة هذا
المعراج الثامن الى سدرة المنتهى للسنة الثامنة من الهجرة
واجاب بان وجه ذلك والله اعلم ان السنة الثامنة اشتملت
على فتح مكة وهي ام القرى واليها المنتهى ومنها المبتدا وعلى
ما ورد ان الارض كلها دحيت من مكة فلذلك سميت ام القرى
وهي ام القرى لان اهل القرى يرجعون اليها في الدين والدنيا
حجا واعتمارا وجوارا وكسبا واتجارا فبين سدرة المنتهى
وام القرى من المناسبة ما لا يخفى اذ سدرة المنتهى ينتهى
اليها علم الخلائق ومكة ينتهى اليها اهل الافاق شرقا وغربا
وفيها يكون الاجتماع فكان بلوغه الى سدرة المنتهى تنبيها
الى بلوغه الى فتح مكة في العام الثامن وقد غشيها الجراد والفراش
الذي هو جند من جند الله كما غشي مكة في الفتح جند الله وحزبه
وغشيها ايضا اجناس من الخلق والوان من الاسود والاحمر
كما غشي سدرة المنتهى الوان لا يعلمها الا الله ولما غشيها الا
حسنة الالوان لا يمكن احد ان ينعتها لعزة الحسن كما ان
ان الوان الخلق لما غشيت مكة يوم الفتح حسنت بالايمان
واهل القران حتى لا يمكن احد ان يصف حالها من
عظيم الشان الوجه السادس والعشرون في الكلام على
رؤية الجنة والنار وما يتعلق بذلك قوله في القصة ثم
اخذ على الكوثر حتى دخل الجنة قال الامام العز بن عبد السلام
في تفسيره في هذا الحديث دليل على ان السدرة ليست
في الجنة وجزم ابن ابي جمرة كما اشير اليه فيما سبق وقال

الهامش: السبع ثم — با — شر — لوان — يمان

ابن دحية ثم هنا ليس للترتيب كما في قوله تعالى ثم كان من الذين
امنوا وانما هي هنا مثل الواو للجمع والاشتراك فهي بذلك
خارجة عن اصلها قال ابن اقبرس في شرح الشفا وهو خلاف
الظاهر وفي عرض الجنة عليه صلى الله عليه وسلم كما قال ابن
ابي دحية لهذه الامة كرامة عظيمة لانه كان يعرض الجنة على
امته ليشتروها كما قال عن ربه تبارك وتعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية فاراد الله
تبارك وتعالى ان يعاين النبي صلى الله عليه وسلم ما يوصفه
على امته ليكون وصفه لها على مشاهدة ويحتمل انه انما اراه اياها
ليعلم خسة الدنيا في جنب ما رآه فيكون للدنيا ازهد وعلى
الشدائد اصبر حتى يؤديه الى الجنة ويحتمل ان الله تعالى اراد
ان لا يكون لاحد كرامة الا ان يكون لمحمد مثلها ولما كان
لادريس كرامة دخول الجنة قبل يوم القيامة اراد الله سبحانه
وتعالى ان تكون لصفيه ونجيه محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله في العقبة فراى على بابها يعني الجنة مكتوبا الصدقة
بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر قال بعض العلماء في وجه
كون درهم القرض بثمانية عشر ان درهم القرض بدرهمين
من دراهم الصدقة كما ورد ودرهم الصدقة بعشرة ودرهم
القرض يرجع للمقترض بدله وهو بدرهمين من جملة مبلغ
اصله وهو عشرون فيتحصل للمقترض ثمانية عشر وفي
هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما بال القرض افضل
من الصدقة قال لان السائل يسأل وعنده والمستقرض
لا يستقرض الا من حاجة دليل على افضلية القرض لكن
رجح كثيرون الصدقة لما ورد في الصدقة من الدلائل
الكثيرة الشهيرة وقوله واذا فيها يعني الجنة جنابذ

اللؤلؤ

اللؤلؤ بجيم ونون مفتوحتين ثم الف ثم باء ثم ذال معجمة وهي القباب وقوله واذا ترابها يعني الجنة كالدلا جمع دلو وقوله واذا بطين بها كالبخاتي جمع بخت وقوله ثم عرضت عليه النار انما عرضت عليه كما قال ابن دحية ليكون في القيامة اذا قال سائر الانبياء نفسي نفسي ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول امتي امتي وذلك حين تسعر جهنم لانهم لم يروا قبل يوم القيامة شيا منها فلو ذاروها جزعوا وكفوا السنتهم عن الخطبة والشفاعة عن هولها وشغلتهم عن اممهم وهو صلى الله عليه وسلم قد راى جميع ذلك فلا يحصل له مثل ما حصل لهم ليقدر على الخطبة وهو المقام المحمود ولان الكفار لما كانوا يكذبونه ويوذونه اشد الاذى اراه الله تعالى النار التي اعدها للموذيين له المستخفين به وبامره تطييبا لقلبه وتسكينا لفواده والاشارة في ذلك الى تطييب قلبه في شان اعدائه بالا والانتقام فاء ولي ان يطيب قلبه في شان اوليائه بالنجا والاكرام وليعلم منة الله عليه حين انقذهم منها ببركته وشفاعته وقوله راى مالكا خازن النار فبدا النبي صلى الله وسلم بالسلام قال السهيلي لم يره على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الاخرة ولو راه على تلك الصورة ما استطاع ان ينظر اليه قال الطيبي انما بداه مالك بالسلا ليزيل ما استشعر من الخوف متنحلا فسلامه على الانبيا ابتداء كما سبق اهـ وقد وقع في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا مالكا بالسلام الوجه السابع والعشرون في الكلام على المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام قوله في القصة ثم عرج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام

فائدة مهمة

فمستوى بفتح اللام والتنوين موضع مشرف وهو المصعد
وقيل المكان المستوي واللام في قوله لمستوى للتعليل اي
ارتفعت لاستعلاء مستوى او لرؤيته او لمطالعته ويحتمل
ان يكون متعلق بالمصدر اي ظهرت ظهورا لمستوى ويحتمل
ان تكون بمعنى الى وفي رؤيته بمستوى بالباء وهي ظرفية
وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء
قال النووي وغيره هو صوت حركتها وجريانها على المكتوب
فيه من اقضية الله ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ
او ما شاء الله من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده من امره
وتدبيره وفي ذلك حجة لاهل السنة في الايمان بصحة
كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ
بالاقلام التي هو يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت به الايات
في كتابه والاحاديث الصحيحة وما جاء من ذلك على ظاهره لكن
كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه الا الله تعالى ومن اطلعه
على شيء من ذلك من ملائكته ورسله وما يتأول هذا ويحيله الا
ضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودليل المعقول
لا يحيله والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد حكمة من الله
واظهار لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه
والا فهو غني عن الكتب والاستذكار سبحانه وتعالى قال القاضي
عياض وقال ابن المنير قد علم ان الاقلام انما تكتب الاقدار
والمقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة وجاءت الاخبار
بان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل
خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة المجددة في صحف
الملائكة فالفروع المنتسخة من الاصل وفيها المحو والاثبات
على ما ورد في الاثر واصل اللوح المحفوظ الذي انتسخ منه هو علم

الله تعالى

الله تعالى القديم في ازل القدم وهو الذي لا محو فيه ولا اثبات حيث
لا لوح ولا قلم قال القرطبي في المفهم ولعل الاقلام الموصوفة هنا
هي المعبر عنها بالقلم المقسم به في قوله تعالى ن والقلم ويكون
القلم هنا للجنس فان قلت ما المناسبة بين المعراج التاسع وبين
العام التاسع من سني التاريخ الهجرة قلت كان في العام
التاسع غزوة تبوك وفيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم
من المدينة الى الشام في العدد الذي لم يتم قبله مثله كان العدد فيها
ثلاثين الفا وكانت الشقة بعيدة ولهذا لم يور فيها بل اعلم
الناس بتوجههم ليكون تأهبهم بحسب ذلك ومع هذا الاجتهاد
في الاستعداد لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم فيها حربا ولا افتتح
بلدا وذلك لان اجل فتوح الشام لم يكن حل بعد فانفسخ العزم
بالقدر وبجفاف القلم ورجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة
وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب عند انصراف
العزيمة اهـ الوجه الثامن والعشرون في الكلام على
الوقوف والسحابة وما يتعلق بذلك اعلم ان الامام
ابن المنير قال في كتابه المقتفى في شرف المصطفى ان سني الهجرة
العشرة بجملتها مطابقة للمعاريج التي كانت ليلة الاسراء
ومقابلة لها بالمناسبة وقد كانت المعاريج ليلة اذ ذاك عشرة
على عدد سني الهجرة منها سبعة معاريج الى السموات السبع
الثامن الى سدرة المنتهى التاسع الى المستوى الذي
سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار العاشر
العروج الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب وهو
حقيقة اللقاء ولهذا ختمت سني الهجرة العشر بالوفاة وهي
لقاء الحق جل جلاله كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور
بحضرة القدس على ما تقدم الكلام عليه في الحديث التام

ثم انه ذكر مناسبة لقيه لكل نبي في السماء الذي لقوه فيها الي انتهاء السموات
ثم ذكر مناسبة السموات المعراج الثامن وهو سدرة المنتهي
الي السنة الثامنة ثم مناسبة المعراج التاسع وهو المستوي في
السنة التاسعة وقد أشرنا الي ذلك من كلامه وكلام غيره ثم
قال المعراج العاشر الي الرفرف ورجح لقي الله بحضرة القدس وقام
مقام الانس ورفع الحجاب وسمع الخطاب وكان قاب قوسين
او ادني لكن بالصورة ولكن بالمعني والمناسبة بين هذا المعراج العا
وبين العام العاشر من سني الهجرة امرين واضح اذا اجتمع في هذا
العام اللقاآن اللذان احديهما لقاء البيت وحج الكعبة ووقوف
عرفة واكمال الدين واتمام النعمة علي المسلمين واللقاء
الثاني لقا الرب وكانت فيه الوفات واللقاء والانتقال من
دار الفنا الي دار البقا والعروج بالروح الكريمة الي المعقد الصدق
والي الموعد الحق والي الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة التي لا
تبتغي الا لعبد واحد واختاره الله علي خلقه وهو محمد صلي الله
عليه وسلم كما ورد في صحيح الخبر انه سيل عن الوسيلة وهي المنز
الرفيعة التي لا تبتغي الا لعبد واحد من عباد الله وارجوا ان
اكون انا ورجاؤه صلي الله عليه وسلم محقق وامله مصدق
وخاطره موفق قوله ان المعراج العاشر الي العرش والرفرف
في ذكر عروجه الي العرش نظر لانه لم يرد في احاديث
المعراج الثابتة انه صلي الله عليه وسلم عرج به الي العرش
تلك الليلة بل لم يرد في حديث انه صلي الله عليه وسلم جاوز
سدرة المنتهي بل انتهي اليها وفي بعض الاحاديث لم يذكر
السدرة بل ذكر فيها انه انتهي الي مستوي سمع فيه صرير
الاقلام فقط واما الرفرف فيحتمل ان المراد به السحابة التي
غشيته وفيها من كل لون التي رواها ابن ابي حاتم عن

انس

انس وعند ما خشيته تاخر عنه جبريل صلى الله عليه وسلم لكن
ظاهر السياق والقصة تقتضي انها قيل عروجه الى المستوى
الذي سمع فيه صريف الاقلام وصنيع تقداد ابن المنير لانما
يخالف ذلك فلو جعل المعراج العاشر هو حضرة القدس التي
حصل فيها اللقاء والمناجاة والرؤية وحذف العرش والرفرف
لكان اولى لما ذكرنا تتمة لهذا الوجه وهو انه سئل الشيخ الإمام رضي
الدين العز ويني رحمه الله عن وطئ النبي صلى الله عليه وسلم
العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد تشرف العرش بنعلك
يا محمد هل ثبت ذلك فأجاب بما نصه اما حديث وطئ النبي
صلى الله عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح وليس بثابت
بل وصول النبي صلى الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت
في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما صح في الاخبار انتهاؤه
الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما وراءها لم يصح وانما ورد
ذلك في اخبار ضعيفة ومنكرة لا يعرج عليها والله تعالى اعلم
بالصواب وقد رايت بخط بعض المحدثين بعد نقله كلام
الشيخ رضي الدين المذكور ما نصه ملخصا اقول ما ذكره الشيخ
رضي الدين رضي الله عنه هو الصواب وقد وردت قصة
الاسراء والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو اربعين صحابيا وليس
في حديث احد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة
في رجله نعل وانما ذلك شيء وقع في نظم بعض القصاصين الجهلة
ولم يذكر العرش بل قال وافى البساط ثم خلع نعله ناداه
لا تخلع ودس واشهر به وهذا باطل لم يذكر في شيء من
الاحاديث بعد الاستقرا التام ولم يرد في حديث صحيح ولا
حسن ولا ضعيف انه صلى الله عليه وسلم جاوز سدرة
المنتهى بل انتهى اليها كما في احاديث اكثر المعراج وفي

بعضها لم يذكر السدرة بل ذكر فيها انه انتهى الى مستوى يسمع
فيه صريف الاقلام فقط ومن ذكر انه جاوز ذلك فعليه
البيان واني له بذلك ولم يرد في ذلك خبر ثابت ولا ضعيف
انه صلى الله عليه وسلم رقي العرش وما وقع في بعض الاحاديث
المختلقة التي افتراها بعضهم لا يلتفت اليه ولا اعلم خبرا ورد
فيه انه صلى الله عليه وسلم راى العرش الا ما رواه ابن ابي
الدنيا عن ابي المخارق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مررت ليلة الاسرى برجل مغيب في نور العرش قلت من هذا
املك قال لا قلت نبي قال لا قلت من هو قيل هذا رجل كان
في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم
يستسب لوالديه قط وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة في
هذا الباب وما ذكر في السوال من انه تقدم من انه صلى الله
عليه وسلم رقي العرش بنعله فقاتل الله واضعه ما اعدم
حياه وادبه وما اجراه على اختلاق الكذب على سيد المتادبين
وراس العارفين صلى الله عليه وسلم والله اعلم بالصواب
اه ملخصا الوجه التاسع والعشرون في الكلام على ما وقع
في الرؤية والمناجاة والكلام وفرض الصلاة وما وقع من
المراجعة فيها قوله في القصة فراى ربه دليل على وقوع الرؤية
له تلك الليلة صلى الله عليه وسلم وقد روى الامام احمد بسند
صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت ربي عز وجل وقد اختلف
السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم في رؤيته صلى الله عليه
وسلم لربه ليلة المعراج ببصره فنفت عائشة رضي الله عنها
وذهبت الى انه انما راه بقلبه وهو المشهور عن ابن
مسعود وجاء مثله عن ابي هريرة والى الذي ذهب كثير من

المحدثين

المحدثين والمتكلمين وذهب ابن عباس الى انه رآه ببصره
وبه قال سائر اصحاب ابن عباس وبه جزم كعب الأحبار
والزهري وصاحبه معمر وآخرون وحكي عن الحسن انه كان يحلف
ان محمدا رأى ربه وبه قال الشيخ ابو الحسن الأشعري وسائر اتباعه
وقال الامام النووي الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الاسراء وبسط الكلام
على ذلك وقال هو وغيره لم تنف عائشة الرؤية بحديث
مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط
على ما ذكرت من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي
اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك حجة اتفاقا وقد
خالف عائشة ابن عباس وغيره كما تقدم بل اخرج الطبراني
بسند صحيح عن ابن عباس انه كان يقول نظر محمد الى ربه
مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده وقد تعقب قولهم
انها لم تنف ذلك بحديث مرفوع الخ بان ذلك عجيب
فقد اخرج مسلم في صحيحه عن مسروق انه لما قال لعائشة
الم يقل الله ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى
فقالت له انا اول الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال انما هو جبريل واخرجه عن ابن مردويه
ايضا عن مسروق انها قالت له انا اول من سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل
رأيت ربك قال لا انما رأيت جبريل منهبطا لكن التقي
السبكي لما نقل في تفسيره عند قوله ما كذب الفؤاد ما
رأى قول ابن عطية ان عائشة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال هو لكن تأويل في اللفظ لان قول غيرها
انما هو منتزع من الفاظ القرآن نظر السبكي في حديثها

عه

م لا المعراج

ي

ي

حديث م

المخرج من مسلم المذكور انما بانه ان كان سوالها يعني عائشة
عن ولقد راه بالافق المبين فليس مما نحن فيه وجائز ان
يكون ذلك جبريل وهو وان كان عن الاية فيقرب
ما قاله ابن عطية والاحتمال حاصل فيما سالته عنه ليس
في لفظها صراحة بذكره ثم قال السبكي في اخر كلامه بعد ان
نقل كلام النووي السابق وقد قدمناه عن عائشة حديثا
في مسلم وتمسك به ابن عطية وابدينا فيه احتمالا فلذلك
يستمر ما ادعاه هؤلاء الائمة من ان عائشة رضي الله تعالى
عنها لم تذكر فيه نصا وبان بهذا ان الراجح في تفسير الاية ان
الرؤية بالبصر وانها الله تعالى اهـ وذهب جماعة الى الوقف
في هذه المسئلة ولم يجزموا بنفي ولا اثبات لتعارض الادلة
ورجح ذلك الامام ابو العباس القرطبي في المفهم وعزاه لجماعة
من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية
ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل
قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى بها بالادلة الظنية
وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي
وقال التقي السبكي رحمه الله تعالى في السيف المسلول لكن
من شرطه ان يكون قاطعا متواترا بل متى كان حديثا صحيحا
ولو ظاهرا وهو من رواية الاحاديث جاز ان يعتمد
عليه في ذلك لان ذلك ليس من مسائل الاعتقاد التي
يشترط فيها القطع على انا لسنا مكلفين بذلك تنبيهان
الاول منهما قال الحافظ ابن حجر المراد برؤية الفؤاد
رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه
وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبت انه راه
بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق

الرؤية

الرؤية بالعين لغيره زاد بعضهم نحلاف غيره من الاولياء فانهم
اذا اطلقوا الرؤية والمشاهدة لانفسهم فانهم انما يريدون
المعرفة فاعلمه فانه من الامور المهمة التي يغلط فيها كثير من
الناس اهـ والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا وان
جرت العادة بخلقها في العين قال الواحدي وعلى القول بانه رآه
بقلبه جعل الله تعالى فؤاده بصره او خلق لفؤاده بصرا
حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين اهـ التنبيه الثاني
ان محل الخلاف الذي بين الصحابة في الرؤية انما هو في وقوعها
لا في امكانها وجوازها ومعاذ الله ان يختلفوا في امكانها وانما
اختلفوا في الوقوع واختلافهم في ذلك دليل على اجتماعهم على
جوازها قال القاضي عياض رؤيته سبحانه وتعالى جائزة
عقلا وثبتت الاخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين
في الاخرة اما في الدنيا فقال مالك انما لم ير سبحانه وتعالى
في الدنيا لانه باق والباقي لا يرى بالفاني فاذا كانت
في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رأوا الباقي بالباقي وهو
كلام حسن مليح وليس فيه دلالة على استحالة الرؤية الا
من حيث ضعف القوة فاذا قوى الله من شاء من عباده
اقدره على حمل اعباء الرؤية في اي وقت كان ولا مانع
من ذلك وهو الحق كما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يرى جبريل والصحابة عنده لا يرونه للقوة التي امده
الله بها دونهم قال الحافظ ابن حجر وقع في صحيح مسلم ما يؤيد
هذه التفرقة بين الدنيا والاخرة في حديث مرفوع
فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا واخرجه
ايضا ابن خزيمة من طريقين فاذا جازت الرؤية
في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من اثبتها للنبي صلى

الله عليه وسلم لما ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومع
القول بجوازها في الدنيا لم تحصل لبشر غير نبينا صلى الله عليه
وسلم على ما في ذلك من الخلاف ومن ادعاها غيره في الدنيا يقظة
فهو ضال بل قال الامام الكواشي في تفسيره في صورة النجم ومعتقد
رؤية الله هنا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم غير مسلم وقال
الاردبيلي في الانوار فلو قال اني ارى الله عيانا في الدنيا ويكلمني
شفاها كفر انتهى ونقل عن المهدي المفسر انه كفر مدعي الرؤية هنا
وقد نقل جماعة الاجماع على انها لا تحصل للاولياء في الدنيا قال
الشيخان ابو عمرو ابن الصلاح وابو شامة انه لا يصدق مدعي
الرؤية في الدنيا يقظة فان شيئا منع منه كليم الله موسى صلى
الله عليه وسلم واختلف في حصوله لنبينا صلى الله عليه وسلم كيف
يسمح بها لمن لم يصل لمقامها مما لا يتوقف فيه انه لا يحصل لا حاد
الناس وقال الشيخ ابو بكر الكلاباذي في التعريف ان المشايخ
اطبقوا على تضليل مدعيها يعني الرؤية في الدنيا وتكذيبه
وصنفوا في ذلك كتبا ورسائل وزعموا ان من ادعى ذلك لم يعرف
الله تعالى واقر العلاء القونوي في شرحه على ذلك وقال وان
صح عن احد من المعتبرين وقوع ذلك فيمكن تاويله وذلك
لان غلبات الاحوال تجعل الغايب كالشاهد حتى اذا اكثر اشتغال
المرء بشيء واستحضاره له يصير كانه حاضر بين يديه وهذا
معلوم لكل احد وعلى هذا يحمل ما نقل عن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما انه كان يطوف حول البيت فسلم عليه انسان فلم يرد
عليه فشكا الى عمر رضي الله تعالى عنه فقال كنا نترايا الله
في ذلك المكان وهذا يدل على انه قد يتفق ذلك في زمان دون
زمان ومكان دون مكان واما في الاخرة فقد دل الكتاب
والسنة على حصول ذلك للمؤمنين فيها لانه يزول الضعف

عن حواسهم

عن حواسهم فيرونه اما الكفار فلا يرونه وكذا سائر الحيوانات
وقد اختلف في رؤية الله تعالى في المنام فمعظم المثبتين للرؤية على
جوازها من غير كيفية وجهه ونقل بعضهم عن النووي انه قال قال
القاضي عياض اه تتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام
وصحتها وان رآه الانسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات
الاجسام كان ذلك المرئي غير ذات الله تعالى اذ لا يجوز عليه سبحانه
التجسيم ولا اختلاف الاحوال بخلاف رؤية النبي صلى الله عليه
وسلم في المنام فرؤيته كسائر انواع الرؤيا من التمثيل والتمثيل
وقد قال بعض المحققين ان ذكر رؤية المنام في مباحث الرؤية
استطرادي لان رؤيا المنام نوع مشاهدة بالقلب دون العين
وحكي عن كثير من السلف انهم رأوه عز وجل في المنام فنقل عنه
الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال رايت
رب العزة في المنام فقلت يا رب بم يتقرب المتقربون اليك
وفي رواية ما افضل ما يتقرب به المتقربون اليك فقال بكلامي
يا احمد فقلت يا رب بفهم وبغير فهم قال بفهم وبغير فهم فهذا يدل
على ان مذهب الامام احمد الجواز ونقل عن الامام ابي حنيفة رضي
الله عنه قال رأيت رب العزة في المنام تسعة وتسعين مرة فقلت
في نفسي ان رأيته تبارك وتعالى تمام المائة لاسالنه منه بم ينجو
الخلائق من عذاب يوم القيامة قال فرأيته سبحانه وتعالى فقلت
يا رب عز جارك وجل ثناؤك وتقدست اسماؤك بم ينجو عبادك
يوم القيامة من عذابك فقال سبحانه وتعالى من قال بالغداة
والعشي سبحان الابدي الابد سبحان الواحد الاحد سبحان
الفرد الصمد سبحان رافع السماء بغير عمد سبحان من بسط الارض
على الماء فجمد سبحان من خلق الخلق فاحصاهم عددا سبحان
من قسم الرزق ولم ينس احدا سبحان الذي لم يتخذ صاحبة

ولا ولد سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد نجنا من عذابك
نقل ذلك صاحب مجمع الاحباب في اواخر ترجمته عن بعض الكتب
وعن الترمذي الحكيم وهو من مشايخ الرسالة القشيرية قال رايت
الله تعالى في المنام مرارا فقلت له يارب اني اخاف زوال الايمان
فامرني بهذا الدعا بين سنة الصبح والفريضة احد واربعين مرة وهو
هذا ياحي يا قيوم يا بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام يا الله
لا اله الا انت اسئلك ان تحي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا ارحم
الراحمين وعن الامام ابي العباس بن شريح البازالاشهب انه
راى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه
وتعالى يقول اين العلماء فجاؤ فقال ماذا عملتم فيما علمتم قال فعلمنا
فقصرنا واساءنا فاعاد السوال كانه لم يرض ذلك الجواب واراد جوابا
اخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر
ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث
ليال والمنامات في ذلك كثيرة وفيما ذكرناه منها كفاية والله
سبحانه وتعالى اعلم قوله في القصة وكلمه ربه الى ان قال وجعلتك
اول النبيين خلقا واخرهم بعثا ووقع في بعض الروايات وجعلتك
فاتحا وخاتما قال بعضهم فان قلت ما الفرق بين هذا وبين
قوله وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا قلت الفاتح والخاتم
اعم من هذا اذ يصدق بانه فاتح كل خير وخاتمه فيندرج فيه
هذا بهذا المعنى والاول من جهة الخلق خاصة وكذلك كونه
اخرهم من جهة البعث اه بتامل قوله واعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت العرش الخ فان قيل المعراج كان بمكة ونزول
الاية بالمدينة فيجاب بما قاله بعضهم ليس المراد بقوله اعطي
انها نزلت عليه بل المعنى انه استجيب له فيما لقن من الايتين
من قوله تعالى غفرانك ربنا الخ ولمن يقوم بحقها من السائلين

انتهى

انتهى والمراد انه اعطاه ما تيسر له بعد ذلك **وقوله** فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت وامتك **وفي رواية** واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من امته شيئا المقحمات **وفي رواية** انس عن ابي ذر فرض الله على امتي خمسين صلاة **وفي رواية** ثانية عن انس فرض الله تعالى على خمسين صلاة كل يوم وليلة فيحتمل ان يقال في كل من الروايتين اختصار ويؤيده قوله في الرواية المتقدمة اني فرضت عليك وعلى امتك او يقال ذكر الفرض عليه يستلزم ذكر الفرض على الامة وبا العكس الا ما يستثنى من خصائصه وفي ذلك اشارة الى عظم شأن الصلوات لكون فرضها كان مختصا بليلة الاسراء ولا اختصاص فرضها بكونه بغير واسطة بل بمراجعة متعددة **والحكمة** في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به راى تلك الليلة راى تعبد الملائكة منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله له ولامته تلك العبادات في ركعة واحدة يصليها العبد بشرائطها من الطمانينة والاخلاص وفي فرضها في تلك الليلة كما قاله السهيلي التنبيه على فضلها حيث لم تفرض الا في الحضرة المقدسة المطهرة ولذلك كانت الطهارة من شانها ومن شرائطها والتنبيه على انها مناجاة الرب وان الرب تبارك وتعالى يقبل بوجهه على المصلي يناجيه ويقول حمدني عبدي واثنى على عبدي الى اخر السورة وهو المناسب لفرضها عليه فوق السماء السابعة حيث سمع كلام الرب وناجاه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة واخرج عن الدنيا بجسده وروحه كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شي الا مناجاة ربه وتوجهه

الي قبلته في ذلك الحين وهو بيت المقدس ورفعه الي السماء كما يرفع المصلي يديه اشارة الي القبلة العليا وهو البيت المعمور والي جهة من كان يناجيه ويتجلى له سبحانه وتعالي وقوله في القصة فاتي على ابراهيم فلم يقل شيئا ثم اتي على موسى قال ونعم الصاحب كان لكم قال لي ما صنعت الخ قال ابن ابي جمرة الحكمة في كون ابراهيم صلي الله عليه وسلم لم يكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم في طلب التخفيف ان مقام الخلة انما هو الرضي والتسليم والكلام في هذا المقام ينافي ذلك المقام وموسى هو الكليم ومقامه مقام الادلال والانبساط ومن ثم استبد بامر النبي صلي الله عليه وسلم بطلب التخفيف دون ابراهيم صلي الله عليه وسلم مع ان للنبي صلي الله عليه وسلم من الاختصاص بابراهيم ازيد مماله من موسى لمقام الابوة ورفعة المنزلة والاتباع في الملة وقال القرطبي واما قول من قال انه اول من لاقاه بعد الهبوط فليس بصحيح لان حديث مالك بن صعصعة انه راه في السادسة وابراهيم في السابعة وهو اقوي اسنادا من حديث شريك الذي فيه انه راي موسى في السابعة قال الحافظ ابن حجر واذا جمعنا بينهما بانه لقيه في الصعود في السادسة وصعد موسى الي السابعة فلقيه فيها بعد الهبوط ارتفع الاشكال وبطل الرد وقال القرطبي الحكمة في تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بمراجعة النبي صلي الله عليه وسلم في امر الصلاة لعلها لكون امة موسى كلفت بالصلاة ما لم يكلف بها غيرها من الامم فثقلت عليهم فاشفق موسى صلي الله عليه وسلم علي امة محمد من مثل ذلك ويشير اليه قوله اني قد خبرت الناس قبلك اهـ قال السهيلي اعتنا موسى صلي الله عليه وسلم بهذه الامة والحاجة علي نبيها ان يشفع لها ويسال التخفيف عنها الا ان الله تعالي لما قصر الي النبيه بجانب الغربي وراي صفة امة محمد صلي الله عليه وسلم في الالواح وجعل يقول

اني أجد

اني احد في الالواح امة صفتهم كذا وكذا اللهم اجعلهم امتي فيقول تلك امة محمد فقال اللهم اجعلني من امة محمد وهو حديث مشهور في التفاسير فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم اه وقول موسى صلى الله عليه وسلم فان امتك لا تطيق ذلك اخ دليل على جواز الحكم بما اجرى الله بحكمته من ارتباط العوائد لان موسى عليه الصلاة والسلام حكم على هذه الامة بانها لا تطيق بسبب ما اخبر به وهو انه عالج بني اسرائيل ومن تقدم اقوى واجلد مما ياتي بعد فرأى موسى ان ما لا يحمله القوي فمن باب اولى ان لا يحمله الضعيف بل تحكم بامر الحكم في ارتباط العادة مع ان القدرة صالحة لان يحمل الضعيف ما لا يحمله القوي وقد ورد ان الصلاة التي كلفت بها بنوا اسرائيل ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل ركعتان عند الزوال ومع ذلك لم يقوموا بذلك فمن ثم استكثر الخمس لامة محمد صلى الله عليه وسلم واشفق عليهم من التخلف عن القيام بواجبها فطلب السوال في تقليلها وقد وقع في هذه الامة ان كثيرا منهم غلب التفريط في الصلوات الخمس وان كثيرا من المصليين مفرط في الشروط غير موف بالحقوق فكان ذلك من اثار فراسة موسى صلى الله عليه وسلم فيهم لانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد رجع الفرض الى الخمس ارجع الى ربك فاساله التخفيف ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فراسة موسى ولكن قال استحييت وفي بعض الطرق انه قال ارضى واسلم وقوله عند سواله التخفيف قد وضعت عنكم خمسا كذا في رواية ثابت عن انس وفي رواية مالك بن صعصعة عشرا وفي رواية شريك وضع شطرها قال النووي المراد بحط الشطر انه حط في مرات المراجعات فلا يخالف رواية ثابت قال الحافظ

ابن حجر وكذا العشر فكأنه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس دفعات او المراد بالشطر هنا البعض قال وقد حققت رواية ثابت ان التخفيف كان خمسا خمسا وهي رواية معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها خصوصا وقد ايدتها روايات اخر قال بعضهم دلت مراجعته صلى الله عليه وسلم في طلب التخفيف تلك المرات كلها انه علم ان الامر في كل مرة لم يكن على سبيل الالزام بخلاف المرة الاخيرة ففيها ما يشعر بذلك لقوله لا يبدل القول لدي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فعرفت انها عزمة من الله فرجعت الى موسى فقال لي ارجع فلم ارجع وقيل انما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من طلب التخفيف في المرة العاشرة لانه صلى الله عليه وسلم تفرس ان هذا العدد لا يحط منه فاستحى ان يسأل الله في مظنة الرد ووجه التفرس ان الله تعالى ادرج التخفيف خمسا خمسا فلو سأل التخفيف بعد ان صارت خمسا لكان سائلا في رفعها او في رفعها ارتفاع الصلاة بجملتها وقد علم انه لا بد من وظيفة فلهذا ترك السؤال وكشف الغيب ان العلم القديم قد تعلق ببقاء هذه الخمس ولهذا بقيت فصدفت الفراسة واصابت الفكرة وفي ذلك دليل على ان الله تعالى اذا اراد اسعاد عبد جعل اختياره في مرضات محبوبه ربه لان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله اختياره وايثاره فيما اراد الحق تبارك وتعالى ايثاره وامضاه وهو فرض الصلوات الخمس وذلك تكريم له صلى الله عليه وسلم وترفيع لانه لو رجع وطلب التخفيف فلم يخفف كما خفف اولا لكان اختياره مخالفا للمقدور فلما ان اختاره واسعف في اختياره كان دليلا على ما استدللنا عليه وعلى علو منزلته صلى الله عليه وسلم وفيه دليل للصوفية حيث يقولون ان الحال حامل لا محمول لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان ورد عليه حال الاشفاق على

امته

امته بادر الى طلب التخفيف عنهم ولم ينظر لغير ذلك ثم لما ورد عليه الحياء من الله تعالى لم يلتفت لامته اذ ذاك ولا طلب شيا قوله لا يبدل القول لدي ان قيل كيف لا يبدل القول حيث جعل الخمسين خمسا أجيب بان معناه لا تبدل الاخبارات لانه تعالى اذا اخبر عن حكم انه موهي استحال التبديل والنسخ لاجل العلم وقد اخبر الله تعالى انه امضى الفريضة الى ابراهها وجعل ثوابها ثواب الخمسين او لا يبدل القضاء المبرم لا القضاء المعلق الذي يمحو الله ما يشاء منه ويثبت او معناه لا يبدل القول بعد ذلك وقد استدل بتخفيف الخمسين الى خمس على جواز النسخ قبل التمكن من الفعل وقبل دخول الوقت كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة قوله في القصة وغفر لمن لم يشرك بالله شيا من امته المقحمات هو بضم الميم وسكون القاف وكسر الحاء الذنوب العظام الكبائر التي تهلك اصحابها وتقحم الى النار والتقحم الوقوع في المهالك وقال النووي والمراد بغفرانها انه لا يخلد في النار صاحبها بخلاف المشركين وليس المراد به انه لا يعذب اصلا وقد علم من نصوص الشرع واجماع اهل السنة اثبات عذاب العصاة من الموحدين قوله في القصة فلما جاوزت نادي منادي امضيت فريضتي وخففت عن عبادي من اقوى ما استدل به على ان الله تبارك وتعالى كلم نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بغير واسطة قال ابن دحية خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤية والمكالمة لانه صاحب الشفاعة في القيامة فتوسط قبلها لئلا تقع له حشمة البديهية كما يقع لغيره من الانبياء فاراد سبحانه وتعالى ان يزيل عنه قبل ذلك المقام الانقباض ليتمكن في المقام المحمود واهله سبحانه وتعالى قبل المشهد الاعلى للمشاهدة والكلام ثم رفعه الى مكان لا مكان بعد مكانه ولا مقام وراء مقامه ليكون مشاهدا للكل فيتفرغ في المشهد الاعلى ويتمكن في المقام المحمود قال بعضهم

في هذه المراجعة التي وقعت بين موسى وبين النبي صلى الله عليه وسلم
فوائد منها تكرار الشفاعة في القصة الواحدة الى ان يتم مقصود الشافع
ومنها الرجوع الى المشير الناصح ومنها انه لا يمتنع من الشفاعة وان
كان داخلا فيها الى غير ذلك من الفوائد **ولبعض الذائقين** كلام في
هذا المقام بديع النظام سلك فيه مسلك اهل الجنة ولحظ مذهبهم
وقد علم كل اناس مشربهم **فقال** لما سأل موسى الرؤية فلم تحصل
البغية بقي الشوق بقلبه والامل بعينه فلما تحقق ان الحبيب
منح الرؤية وفتح له باب المنية اكثر السؤال مما جرى ليسعد برؤية
من رأى وردد في امر الصلاة الحبيب ليستفيد رؤية حبيب
الحبيب **ولله در القائل**

واستنشق الارواح من نحو ارضكم ... لعلي اراكم او ارى من يراكم
وانشد من لاقيت عنكم عساكم ... تجودون لي بالعطف منكم عساكم
وانتم حياتي ان حييت وان مت ... فيا حبذا ان مت عبد هواكم

وقال آخر

وانما السر في موسى يردده ... ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا ... لله در رسول حين اشهده

وقوله في القصة فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه معناه بين
موضع مناجاة ربه وكذلك قول موسى ارجع الى ربك اي الى موضع
مناجاة ربك فكان رجوعه من المكان الذي لقي فيه موسى الى
الموضع الذي وقعت فيه المناجاة والسؤال لربه ولا يلزم من موضع
السؤال ان يكون المسؤول فيه او يكون حائزا له تعالى الله جل وعلا
وتنزه عن الجهة والمكان فرجوع النبي صلى الله عليه وسلم اليه
رجوع الى السؤال فيه لشرف ذلك الموضع على غيره كما كان الطور موضع
سؤال موسى صلى الله عليه وسلم في الارض مع انتهائه صلى الله عليه
وسلم تلك الليلة التي عرج به فيها الى ان ظهر لمستوى سمع فيه صريف

الأقلام

الا تلام كان هو ونبي الله يونس اذ التقمه الحوت وذهب به في البحار
يشقها حتى انتهى به قرار البحر سواء في القرب من الله تعالى لتعاليه
تعالى وتنزيهه عن الجهة والمكان والتحيز والحد والاحاطة وقد نقل
القرطبي في التذكرة ان القاضي ابا بكر بن العربي المالكي ذكر قال اخبرني
غير واحد من اصحابنا عن امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبد
الله بن يوسف الجويني انه سئل هل الباري في جهة فقال لا هو متعال عن
ذلك قيل له ما الدليل عليه قال الدليل عليه قول النبي صلى الله عليه
وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فقيل له ما وجه الدليل من هذا
فقال لا اقول حتى ياخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها دينه
فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها اثنين لانه يشق
عليه فقال واحد هي علي فقال ان يونس بن متى رمى نفسه
في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين كما اخبر الله
تعالى عنه ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى به
صاعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه
ربه مناجاة فاوحى اليه ما اوحى باقرب الى الله من يونس في
ظلمة البحر فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاءهم ولا يخفى عليه
حالهم كيف ما تصرف من غير مسافة بينه وبينهم فيسمع ويرى
دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء تحت الارض
السفلى كما يرى ويسمع تسبيح حملة العرش فوق السموات السبع
العلى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة احاط بكل شيء علما واحصى
كل شيء عددا **الوجه الثلاثون** في الكلام على ما وقع له في رجوعه
من الاسراء من شرب الماء وحبس الشمس له وغير ذلك **قال**
السهيلي **فان قيل** كيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شرب
الماء الذي في القدح وهو ملك لغيره واملاك الكفار لم تكن ابيحت

يومئذ ولا دماهم **والجواب** ان العرب في الجاهلية كان لهم عرف فيما
عندهم اباحة اللبن لابن السبيل فضلا عن الماء وكانوا يعهدون بذلك
الى رعاتهم ويشترطون عليهم عند عقد اجارتهم ان لا يمنعوا اللبن
من احد مر بهم فكيف ابنا والحكم بالعرف في الشريعة اصول تشهد
له اهـ وذكر ايمتنا رحمهم الله في الخصائص انه صلى الله عليه وسلم ابيح
له اخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج النبي
صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على صاحبهما البذل له صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى اولى بالمؤمنين من انفسهم **قوله** في القصة
وحبست عليه الشمس لما سالوه عن العير حيث تجيء قال يوم الاربعاء
فجعلوا ينتظرونها وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا النبي صلى الله عليه
وسلم فزيد له في النهار ساعة فقد رواه البيهقي وغيره واخرج
الطبراني في الاوسط عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر الشمس
ان تتاخر ساعة من النهار فتاخرت ساعة من النهار وسنده
حسن كما قاله الحافظ ابو الحسن الهيثمي في مجمع الزوائد والحافظ
ابن حجر في فتح الباري في باب قوله صلى الله عليه وسلم احلت لي
الغنائم والحافظ ابو زرعة الولي العراقي في شرح التقريب قال
الحافظ ابن حجر وكان من ما رواه احمد بسند صحيح عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لم
تحبس الا ليوشع بن نون ليالي سار الى بيت المقدس ووجه
الجمع ان الحصر محمول على ما مضى من الانبيا قبل نبينا صلى الله
عليه وسلم فلم تحبس الشمس الا ليوشع وليس فيه نفي انها قد
تحبس بعد ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم اهـ **وقد ورد** ان
الشمس ردت عليه صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت فروى الطبراني
باسانيد رجال بعضها ثقات عن اسما بنت عميس قالت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهبا ثم ارسل عليا

في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم راسه في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت
الشمس فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس
بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت اسما فطلعت الشمس
حتى وقفت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضى وصلى العصر
ثم غابت وذلك بالصهبا بخيبر وفي لفظ اخر كان عليه الصلاة والسلام
انما نزل عليه الوحي يغشى عليه فانزل عليه الوحي يوما وهو في حجر
علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت العصر قال لا
يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قال
فرايت الشمس طلعت بعد ما غربت والحديث رجاله موثوقون
وغالبهم من رجال الصحيح وقد حسنه الحافظان الولي العراقي
والجلال السيوطي ولا يلتفت لايراد ابن الجوزي له في الموضوع
فقد خطاه الحافظ في ذلك ومن فوائد طلوع الشمس بعد
غروبها ان الوقت يعود ومن ثم لما عادت صلى علي العصر اول
عودها لم يكن الا لذلك ومثل ذلك مالو تاخر غروبها عن وقته
المعتاد فان الوقت باق كما في حبسها في قصة الاسراء لدخول
العير كما تقدم بل التاخير اولى ببقاء الوقت قال ذلك ابن العماد
في التعقبات وقد صرح القرطبي بذلك في التذكرة في باب ما يذكر
الموت والاخرة فقال لو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا
يتجدد الوقت لما ردها عليه الله ووجه بعضهم بان الشمس
لما عادت كانها لم تغب وقد وقع حبس الشمس كرامة لبعض
اوليا هذه الامة فذكر ابن السبكي في طبقاته واليافعي في كتابه
المعتقد وغيرهما انه مما استفاض قال اليافعي وبما تواتر من
كرامات الشيخ الكبير سيدي اسماعيل بن محمد الحضرمي شارح
المهذب رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته انه قال يوما لخادمه وهو

السلام

عاد

في سخونة الشمس تنشف حتى نصل الى المنزل وكان في مكان بعيد وكانت
عادة اهل المدينة انهم لا يفتحون بابها بعد العصر ولم يلاحد الا فقال
لها الخادم قال لك الفقيه اسماعيل قفي فوقفت حتى بلغ مكانه
ثم قال الخادم ما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب
فغربت واظلم الليل في الحال وهذا من باب ما كان معجزة لنبي جاز
ان يكون كرامة لولي **خاتمة** اخرج ابن مردويه عن
انس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ اسري به ريحه ريح عروس واطيب من ريح عروس **قال**
بعضهم قد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم
يمس طيبا **وروينا** عن انس قال ما شممت ريحا قط ولا مسكا
ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفي رواية**
للبخاري ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رائحة النبي
صلى الله عليه وسلم **وفي رواية** الترمذي ولا شممت مسكا
قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام
عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها
فاستيقظ فقال يا ام سليم ما هذا قالت عرقك نجعله لطيبنا وهو
اطيب الطيب رواه مسلم **وروى** ابو يعلى والطبراني قصة
الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن
عنده شيء فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال
مرها فلتتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة
ذلك الطيب فسموها بيت المطيبين **وقال** جابر بن
عبد الله كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن
يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيب عرقه
وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له رواه الدارمي والبيهقي وابو نعيم

والله

ولله در القائل

ولو ان ركبا يمموك لقادهم ،، نسيمك حتى يستدل به الركب

هذا ما نقله المؤلف ثم غيره بالبيت الثاني في الاصل الخ

ولو ان ركبا يمموه لقادهم ،، نسيم شذاه واستدل به الركب

وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب قالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق رواه ابو يعلي والبزار باسناد صحيح فنسأل الله ان يمدنا بمدد سيد المرسلين ،، وان يجعلنا لاقواله وافعاله من المتبعين ،، ولسنته من المتمسكين ،، وان يدخلنا في شفاعته ويجعلنا تحت لوائه يوم الدين ،، صلى الله عليه وسلم وجزاه عنا افضل ما جزا نبيا عن امته ،، ورضي الله عن اله واصحابته ،، والتابعين وتابعيهم ولا ائمة المجتهدين ،، وسائر علما المسلمين ،، امين ،، والله مؤلفه تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه اعلى غرف الجنان

وكان الفراغ من

تحرير وقت العصر من يوم الا

ثنين جماد الاخره

من شهور سنة ١٠٨١

احسن الله عاقبتها امين

وصلى الله على

سيدنا محمد

وعلى اله

وصحبه

وسلم

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة يوم الثلاث المبارك من شعبان ١٢٧٨ سنه من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام









